بدر رمضان

الكيلو ٥٥

المتاهة.. حيث لا عودة





تم إعداد هذه النسخة بواسطة:

أنمار

https://t.me/osn_osn





الإهداء

فخ الإدراك يُمكنه أن يخدعك بسهولة؛ عليك أن تتوقف عن التفكير السليم، وتتبع قلبك نحو الهاوية؛ فإما أن تخطفك اللعنة على حين غرة، وإما أن تسقط في غياهب الخدعة.

فاحذر من بداية اللعنة التي لا نهاية لها ..

*****

إهداء خاص جدا

إلى جناحي اللذين لا أستطيع التحليق إلا بهما

إلى حسناء محمود ملاذي الآمن، وركني المريح.

إلى ولاء خليل.. بئر أسراري، وبوصلتي للاتجاه الصحيح

إلى أصدقائي المخلصين، واللذين لولاهم لما استطعت إنجاز الكثير.

أشكركم على دعمكم لي وإيمانكم بي.

****



المقدمة

أوصلتها وعدتُ لشقتي التي حين دلفت داخلها اقتحمت أنفي رائحة غريبة أقشعر جسدي على إثرها، امتلأت رئتاي برائحة المكان الكريهة وعقلي أبى أن يتجاهل الأمر ...

عيناي بدأت تُعيد كل ما رأيته في الأعراف فور إغماضهما وكأن هذا الشعور المقيت الذي أعادته لي هذه الرائحة يأبى أن يتركني وشأني،

دلفت لغرفتي مُسرعًا وبدلت ثيابي واستسلمت للنوم رغمًا عني هروبا من استرجاع ما مضى، غَفيتُ حتى انتفض جسدي عند سماع صوتها الرنان القادم من الموت..

ورائحتها التي تُشبه مكان سكناها اقتحمت أنفي بقوة لم أستطع حتى نفثها، انتفضتُ من موضعي لأجدها تقف أمامي مضطربة وجسدها ينتفض برعب ،ظاهر ارتعش جسدي وتعالت نبضات قلبي المُرتعب لأسالها وأنا ألهث كأنني في سباق للعدو:

- انتِ خرجتي إزاي ؟!

هزت رأسها بتوتر وتساقطت دموعها بغزارة ومن بين شهقاتها أخبرتني :

- هربت عشان اجيلك احذرك وأطلب منك آخر طلب يا كامل

انتظرت حتى تكمل وأنا أحاول لملمت شتات نفسي:

- هالك عرف إنك كنت في القرية ومش ناويلك على خير وكنت عاوزة أترجاك تحاول تلاقيلنا حل أنا معنديش حد غيرك أعرف أروحله، أرجوك يا كامل ساعدنا ..



توقفت عن الحديث وزاغت عينيها بذعر واضح ثم أعادت النظر نحوي بهمس قاتل

- لازم امشي بسرعة دلوقتي .

اختفت من أمامي كعادتها وصوتها يتردد في البيت بصدى ترتعد له أوصالي ككل مرة تحدثني بها :

- أنا خايفة عليك يا كامل أوعي تفكر تواجهه،

جسدها صادق وعينيها مختلفة، بدت أمامي كتلة هلع تتجسد في جسم أنثوي بهيئة مرعبة قد بدأت الاعتياد عليها، جبتُ الغرفة ذهابًا وإيابًا وكدت أن أمزق خصلات شعري بعدما توقف عقلي تماما عن العمل لقد عدت لحياتي السابقة ولا أريد أن أقحم نفسي في هذا العالم، وحتى لو أردتُ الرجوع فقد أخبرني «مختار» أنني لن أستطيع قبل ثلاثة أسابيع، فأنا هنا منذ أربع وعشرين ساعة فقط، وبالفعل جسدي لن يتحمل السفر لبعد آخر الآن رددت بقلة حيلة

- ما فيش قدامي حل تاني لازم أنقذهم عشان أعرف أعيش حياتي ..

وقبل أن أخرج من منزلي متوجها لمختار كي ينقلني إلى هناك تضاعف إحساسي بعدم عودتي لعالمي هذه المرة كثيرًا عن المرة الأولى وبثُ أُجزم أنني سأسجن هناك ولن أعود لعالمي وخاصة بعد تحذير فاتن جلستُ على المقعد خلفي ثم أخرجتُ هاتفي مقررًا وعازمًا أمري أن أسجل حكايتي وما حدث معي حتى الآن،

وسوف أُكمل ما سيحدث في تسجيل صوتي آخر وبطريقة ما إن لم أعد سأرسله لأحدهم حتى يعلم الجميع عن هذا العالم الخفي علني أستطيع العودة بشكل أو بآخر!





بداية الرحلة

أنا « كامل محمد كامل « أعمل مهندسا معماريًا في مكتب هندسي ذي أهمية كبيرة في العاصمة، منذ ما يقرب من شهر استلمنا مشروعًا جديدًا من قبل الحكومة الخاصة ببلادي في هذا اليوم كاد أن يتراقص مديري من فرط سعادته،

وأخبرنا وقتها لو استطعنا تسليم هذا المشروع قبل موعده المحدد ستكون لنا مكافأة كبيرة وغير مسبوقة، حديثه جعلنا متحمسين لنبدأ على الفور في معاينة صور حية للموقع وتنظيم مهامنا وتحضير المعدات اللازمة تفاصيل المشروع كما قالها مديرنا المباشر كانت كالآتي...

قرية قديمة تحيطها الصحراء من جميع الجوانب موقعها قريب جدًا من ثكنات الجيش الثالث القرية قد تم تفجيرها وتدميرها في «أحداث نكسة ٦٧» وكما سمعتُ من صديق لي أن الجيش لم يستطع وقتها تحذير سكانها قبل «الغارة» الكبيرة التي حدثت ودمرت المنازل بأكملها، وأسفر عن هذه الوثبة عدد كبير من الموتى أو كما قال هو؛ لم ينج من هذا الاعتداء الغاشم سوى القليل..

كان الانفجار كبيرًا جدًا فقد سقطت القنابل على رؤوسهم من سرب طائرات جاءت خصيصًا لهذه القرية وما حولها ومن نجا منهم ذهب ليحتمي في ثكنة الجيش القريبة التي لم تصمد كثيرًا أمام سيل المتفجرات التي وقعت على المدينة،



كانت «مجزرة مأساوية « مات بهذه الغارة رجال ونساء وأطفال بعدد وصل ل خمسة آلاف، وقد تحدثت عن هذه المجزرة الصحف العربية والعالمية والوسائل المسموعة والمرئية آنذاك ...

أما القرية فظلت مهجورة كما هي منذ الحادثة،

وأما ثكنات الجيش فظلت كما هي لفترة قريبة تقترب لخمسة أعوام مضت تابعة للجيش الوطني حتى وقعت عدة حوادث اختفاء غامضة وحوادث قتل غريبة لم يخبرنا بها رئيسي رغم سؤال زميلي المتكرر عما حدث هناك، ولكنه تجاهل السؤال كي لا يُصيبنا بالذعر ؛

هذه الحوادث الكثيرة والمتكررة كانت بشكل دوري وفي ساعات معينة وأماكن متفرقة جعلت المسؤولين يقومون بغلق هذه الثكنات تماما ونقل من فيها لمناطق أخرى،

وبعد مرور هذه الأعوام الخمس قاموا بمباحثات حول هذه القرية وما حولها ليقرروا في اجتماعهم الأخير مع رئيس الوزراء تحويل هذه المنطقة لمدينة سكنية جديدة تابعة للحكومة لتأوى بها سكان المناطق العشوائية التي تعج بهم العاصمة،

«حديث ممل»

أصابني الضجر وبدأت أتثاءب وأنا استمع دون تركيز يُذكر، بينما رئيسي يهتم كثيرًا بقص ما حدث بشكل مبالغ فيه، كنت حينها رجلًا عمليًا لا يعنيني سوى المقاسات والمساحات والأرقام ولا علاقة لي بهذه القصص الخيالية، انتهى الاجتماع أخيرًا واستلمت أنا واثنان من زملائي الموقع



المحدد وقد سلمني المهندس شاكر الإشراف الكامل على المشروع، شرعتُ في تقسيم العمل بيننا وأخبرت زملاءنا المدنيين في صنع مجسمات صغيرة للمباني أننا يجب علينا معاينة الموقع على الطبيعة اتفقنا على زمن محدد وحين جاء موعد المعاينة انطلقتُ أنا وزملائي ومديرنا المباشر المهندس «شاكر» نحو الموقع ..

تفرقنا في سيارتين منفصلتين وسافرنا إلى القرية التي تبعد عن مدينتنا ساعة على الأقل،

قضينا تلك الساعة في مناقشات حول المساحة وكيفية استغلالها، وقمت أنا باقتراح جيد لتوفير المسافات بين المباني بعضها ببعض حتى مساحة الشقق السكنية تحدثنا بها دون الخروج عن الميزانية المسموحة لنا،

وحين انتهينا من التخطيط المبدئي كدنا نصل، وقد علمتُ ذلك عندما وجدت لافتة كبيرة تكسوها الأتربة ومحفور عليها اسم القرية التي طمس معالمه وتكاد حروفه تتبين لنا الكيلو ٥٥ «قرية الزوارعة»

لم أتعجب وقتها من الاسم، وخاصة أنه لم يكن أغرب ما سمعته لأسماء قرى صادفتها في عملي، ولكن ما جعلني أندهش حقا عندما اقتربنا من اللافتة الحديدية لمحت كلمة *احذر* التي كتبت بخط رفيع قبل اسم القرية!

ضحكت أنا وزميلي «راضي» وأنا أقول له:

- نحذر ليه هي فيها ألغام



أجابني المدير الذي يجلس أمامي بصوت عجيب لم أعهده من قبل

- لاء فيها متاهة .

نظرت إليه في المرآة الداخلية للسيارة متسائلًا:

- متاهة ازاي؟! مش فاهم

وبطريقته الغريبة كالعادة في سرد الحكايات عن كل موقع نقوم باستلامه أخبرنا :

- بيقولوا إن سكان القرية وهما بيبنوا بيوتهم عملوها زي المتاهة عشان لو حد غريب دخل القرية ما يعرفش يخرج إلا بصحبة حد منهم،

اقشعر جسدي رغمًا عني ولأول مرة منذ أن عملتُ مهندسا تحت إدارته أشعر بالقلق من حديثه، ليكمل هو بصوتا غريب:

- ودا كان سبب مهم جدًا خلى الناس اللي ماتت في القرية متسيبهاش لآخر لحظة،

سعل بخفة ليُكمل وهو يتطلع للخارج بغرابة من خلف الزجاج :

- رغم أن الجيش حذرهم متأخر ومكنش فيه وقت للتراجع هما كانوا على أمل إن جنود العدو لو دخلوا مش هيعرفوا يخرجوا مكن ـعرفوا إن الهجوم هيبقى عن طريق الطيارات



تخاريف مصريين

رددتها بصوت منخفض وأنا أنظر للنافذة جواري أتأمل مظهر المنازل المهدومة والطرق المحطمة رفعتُ بصري قليلا فوجدت قضيب لسكة حديد وفي نهايته قطار قديم بهيئة عجيبة كأنه سُحق بهاون فسألته بتعجب:

- سكة القطر دي بتودي لفين ؟**!**

أجابني وهو ينظر نحوها :

- مقفولة من وقت ما أخلوا ثكنات الجيش، كانوا بينقلوا فيها معداتهم ..

ثم أشار لي على موقع هذه الثكنات خلف السكة الحديدية، فشعرت بقبضة في قلبي لسبب ما أجهله**!**

وبمجرد أن اقتربنا من مبنى قديم ومتهالك، معلق على وجهته لافتة ساقطة من جهة ومثبتة من الجهة الأخرى، مكتوب عليها ..

الحجر الصحي

تعالت دقات قلبي بشكل مبالغ فيه، فسألته على الفور عن حكاية هذا المبني التابع للجيش، فقام السيد شاكر بتصحيح المعلومة:

- لاء دا مبنى تابع للقرية زمان كانوا بيسموه مستوصف بيستخدموه للكشف الطبي والعمليات الجراحية السريعة...



توقفت السيارة عند وصولنا للموقع المحدد، أو كما نطلق عليه «خط البداية» وبمجرد أن ترجلت من العربة أخذت عدة أنفاس سريعة لشعوري الشديد بالاختناق حاولت إلهاء نفسي بعدة مبررات واهية، واندمجت في الحديث عن العمل حتى وصلت السيارة الأخرى وخرج منها باقي زملائنا،

وقف كلا منا يحمل أوراقه وملفاته وأقلامه الخاصة وبدأنا سويًا في التدوين ..

انهمكنا في التحضيرات وحين رفعت عيني لمحت السيد شاكر ينظر لساعة يده بتوتر ثم بذعر أصابه فجأة دون إنذار صرخ بنا:

- الساعة قربت على خمسة لازم نمشي حالاً يلا بينا ...

وركض نحو السيارة ليصعد بها وكأن خلفة أسد جائع يركض ليلتهمه نظرنا لبعضنا البعض بدهشة جعلته يزعق بنا من خلف الزجاج حتى افترقنا جميعًا وكلاً منا يردد مقولة متعجبة من تصرفه، لأهمس أنا لصديقي:

- هو خايف من إيه ؟!

زم راضي شفتيه بحيرة دون إجابة..

صعدنا للسيارة وجلست خلف المقود ليخبرني السيد شاكر وهو ينظر من النافذة بهلع بادٍ على وجهه

- يلا يا كامل بسرعه قبل الغروب، أنا إزاي ماخدتش بالي من الوقت كدا ...



لـم يسـتطع راضـي تمريـر ماحـدث بسـهولة، وخاصـة بعـدما أصـر بشـكل عجيـب أن أسـير بالسـرعة القصـوى وأنـا لـم أعتـد القيادة بسرعة كبيرة كهذه...

كُنـا نظـن أنـه لا يريـد أن يهجـم علينـا الليـل ونحـن هنـاك بسـبب إنقطـاع الكهربـاء عـن المكـان بأكملـه، ولكـن إجابتـه علـى راضي كانت صادمة لكلانا:

- ممنـوع علينـا نتواجـد فـي المكـان دا بليـل، واعملـوا حسـابكم شـغلكم كلـه يبقـى الصـبح مـا حـدش مـنكم أو مـن العمـال يفضـل لبعـد العصـر تحـت أي ظـرف مـن الظروف ما تودوناش في داهية،

نظـرت لزميلـي وابتسـمنا علـى حديثـه دون أن نلفـت انتباهـه، لأشاكسه قائلا :

- قصدك لحد ما نوصل كهربا للمكان ؟!

فأجاب بإصرار وبصوت مرتفع:

- نهائي يا كامل حتـى لـو وصـلتوا الكهربـا ممنـوع حـد يبقـى موجـود فـي الموقـع بعـد خمسـه ومـش هنبـه علـى الموضـوع دا تـاني، ودي آخـر مـره هـاجي هنـا لحـد مـا تخلصوا ..

وقبـل أن يعتـرض صـديقي وبطـول الحـديث الـذي لا جـدوى منـه ضـغطت علـى كفـه المستند بجـواري فـأثر راضـي الصـمت وهـذا لأننـا نعلـم جيـدًا أنـه يصـدق خُرفـات كثيـرة تقـال علـى أي موقـع نسـتلمه وخاصـة عنـدما يكـون هـذا الموقـع فـي مكـان نـاء، مثلمـا فعل في آخر موقع لنا؛



كانت قرية سياحية قريبة من البحر وكان السيد شاكر دائم التحذير لنا والتنبيه باستمرار على ألا نتواجد قُرب البحر في الليل قبل أن نقوم بتوصيل الكهرباء للمكان وتكون هناك إضاءة كافية، وكما أخبرنا بلهجة جدية وصوت منخفض:

- في هنا ندهات ممكن تاخد حد فيكوا في الضلمة أوعوتخاطروا وتقربوا من البحر بليل»

ابتسمت عندما تذكرت وجهه وهو يهمس لنا ونظرت له عبر المرآة الداخلية فوجدت تعابيره مختلفة تمامًا !

هو مذعور بالفعل، بالإضافة أنه لم يستثن توصيل الكهرباء!

هناك أمر يُخفيه ونحن نجهله..

عدت للنظر أمامي ثم قضبت حاجبي وأنا أنظر في المرآة الجانبية لأتأكد ممن خلفي فوجدت طفلا صغيرًا يركض على قضيب القطار وللعجب أنه توقف عن الركض بمحاذاة السيارة ونظر لي نظرة مريبة جعلتني ابتلع ريقي بصعوبة وأن أسأل صديقي بريبة:

- بص كدا يا راضي دا عيل صغير اللي واقف دا وشكله غريب كدا ليه؟!

صرخ بي السيد شاكر حتى انتفضت من الفزع

- بص قدامك يا كامل وامشي بسرعه قولتلكم ميت مره بسرعه ما بتفهموش ليه...



قلقي تزايد من صراخه وضغط على المحرك لتركض السيارة بسرعة كبيرة وذلك بعدما همس لي راضي بقلق غلف صوته:

- على فكرة يا كامل مكنش في أي أطفال على القضبان

لم ينطق أحدنا بحرف بعد ذلك حتى وصلنا المدينة، تركت راضي عند سيارته وأوصلت مديري لمنزله لأبصره عبر المرآة بوجه شاحب وجسد مضطرب زممتُ شفتاي بتعجب وعدت لمنزلي لا أبالي بحالة شاكر المرتعبة ولا بالذي حدث في طريق عودتنا رغم أن نظرة هذا الطفل نحوي ، كانت أغرب شيء حدث لي في حياتي!

تناسيت ما جرى وأحضرت أقلامي ولوحة الرسم الكبيرة، ولشعوري بالنعاس قررت أن أنام ساعتين وأنهض بعدها لأبدأ في رسم تصور مبدأي للمكان، وليتني لم أقرر النوم!

الكابوس الذي رأيته جعلني استيقظ مفزوعا أتصبب عرقا ودقات قلبي تركض بالسرعة القصوى كنت مرتاعا لدرجة أنني لم أستطع التحكم في جسدي المنتفض ولا التوقف عن ترديد «مستحيل يكون دا كابوس دا حقيقية!»

وعلى الفور ركضتُ من أعلى الدرج بذعر كاد يفتك بي الخارج المنزل،

توجهت للمقهى القاطن قريبًا مني ولأول مرة في حياتي أجلس في «كافيه» ولكنني كنت خائفًا لدرجة أنني لم أتحمل الوجود في شقتي بمفردي

*****



بعد مرور ساعة جلستها وسط الضوضاء وتفاصيل كابوسي تظهر أمامي كلما طرفت عيني، احتسيت شرابًا ساخنًا للمرة الثالثة حتى بدأ جسمي يستكين قليلًا،

ولكن صورتها لم تترك خيالي وصوت صراخها في وجهي مازال يتردد صداه في أذني:

- الحقني أرجوك خرجني أنا وعيلتي من هنا،

اقتربت مني أكثر متجاهلة صوتي الواهن وأنا أسألها:

- أنت مين ؟ !

لتهمس لي وهي تلتفت حولها بخوف وكأن هناك من يراقبها:

- ما تسيبناش أنتَ ما تعرفش بيعملوا فينا إيه هناك**!**

وفجأة صاحت بهستيريا واختفت ارتجفت على المقعد حتى اهتزت المنضدة الصغيرة أمامي فوجدت أحدهم يضع يده على كتفي قائلًا :

- أنت كويس

بإماءة بسيطة أجبته فتركني وابتعد، زفرت بضيق وتركت المكان بأكمله لأصعد نحو شقتي وصورتها تأبى أن تفارق خيالي مطلقًا، كانت ترتدي فستانًا جذابًا وجميلا ولكنه ينتمي لحقبة قديمة



ثوبها المميز كان مليئًا بالغبار وممزق في بضع أماكن، كانت تضع على شعرها منديلا منقوش صغير بهيئة تُشبه فنانات الزمن البعيد بينما وجهها ويداها مليئتان بالكدمات وهالات عينيها سوداء قائمة وفكيها يتلونان بالأزرق الغامق كلها آثار على أن هناك أحدما يضربها بعنف،

حاولت نسيان هذا الكابوس المفزع بقدر ما أمكنني، فخطوت نحو مقعدي المرتفع وأمسكت بقلمي الرصاص ووضعت يدي على اللوحة البيضاء، ليأتيني طيفها أمامي، تأففت بضيق وقذفتُ القلم بطول ذراعي على الأرض ونهضت كي أحدث «علا» خطيبتي وزوجتي المستقبلية التي لم أتحدث معها طوال اليوم،

وكعادتها وجدتها غاضبة وتحدثني بحنق شديد ...

قررت أن اتجاهل خوفي الذي سيطر عليّ لأسترضيها وأطلب منها أن نخرج سويًا لتناول العشاء بمطعم تحبه هي كثيرًا، وهذه فرصة عظيمة لي كي أنسى ما حدث معي ...

ارتديت ملابسي على عجل وقدتُ سيارتي نحو بيت علا؛ ركبت علا بجواري بملامح مازالت ممتعضة وصمت مطبق تجاهلت به حديثي، لاطفتها بالقول ومع بعض المزاح الذي ولى الاعتذار لها مجددا ابتسمت لي ونست الأمر،

تحسنت حالتي النفسية كثيرًا، ونسيت تفاصيل ما جرى معي واعتبرته أضغاثُ أحلام،



عدتُ لحالتي الطبيعية تدريجا ففي بادئ الأمر كنتُ أشرد قليلاً في تفاصيل الفتاة المجهولة، ولكني قاومت حتى أنني لم أتوقف عن الضحك والمزاح أنا وعلا طوال لقاءنا،

بعدما انتهينا أوصلتها لمنزلها ورجعت لبيتي بنشاط غريب ومزاج معتدل، ولكني ورغم ذلك خفت النوم مجددًا فجلبت مكينة القهوة الخاصة بي جواري على المنضدة وشرعت في العمل حتى أشرقت الشمس دون انتباه مني..

نظرتُ لرسمتي بإعجاب وقمتُ لأصلي فرضي وقررتُ النوم لساعتين قبل ميعاد العمل الرسمي،

استيقظت على صوت رنين المنبه وحمدت الله أنني لم أرى شيئًا في منامي،

ارتديت ملابسي وذهبتُ للشركة ومنها لمكتبي ليمر نصف اليوم طبيعيًا جدًا حتى مرت من أمامي ورأيتها رؤى العين «فتاة الكابوس»

نهضت من مكاني وتتبعتها حتى اتجهت يمينا نحو الرواق، اسرعت من خطاي حتى بدأت بالركض خلفها لأوقفها سريعا وقلبي ينهت من الخوف والركض معا لأجدها تنظر لي بدهشة مرددة:

- في حاجة يا بشمهندس كامل

ابتعدتُ عنها بتوتر فلم تكن سوى نهى موظفة الشئون القانونية لدينا،



اعتذرتُ لها وعدتُ أدراجي ألوم نفسي تارة وتارة أخرى أقسم أنها كانت هي؛ زائرة كابوسي بالأمس وصلت بعد هذا الموقف بنتيجة حتمية وهي أنني أعرف هذه الفتاة من مكان ما !

أنا واثق أنني رأيتها من قبل، ولكن أين وكيف لا أعلم...

خطوتُ نحو مكتبي وأخذت لوحتي الورقية الكبيرة التي جلبتها من المنزل، ثم وضعتها على الحامل الخشبي بملامح مغتمة مما حدث ولعنتُ نفسي مرارًا لأنني ولأول مرة أشغل فكري بهذه الأشياء، اقترب مني راضي بذهول قائلا:

- دا ايه الحماس اللي أنت فيه دا، لحقت ترسم كل دا من امبارح، على كدا أنت ما نمتش بقى!

تجاهلت سؤاله وناديته ليساعدني في بعض الأمور التي علقت معي وبعدما انتهينا شعرتُ أنني سأفقد الوعي من التعب والإرهاق الذهني دون نوم كافي،

طلبتُ من راضي أن يقلني إلى البيت لأنني لن أستطيع القيادة بحالتي هذه، وافق راضي فور رؤيته لجسدي المُنهك وعيناي التي تنغلقان دون مقاومة مني حملت رسوماتي كي أكملها، فلم يتبق بها سوى القليل وبعد المناقشة بيننا حددت مهامي ،بدقة وما فعلته كان بالنسبة لهم إنجازًا كبيرًا، لم يسبق لنا أن بدأنا في رسم المشروع بهذه السرعة،



لذلك عرض علي «سعيد»

(رفيقنا الثالث في المكتب والذي يقتسم العمل معنا أنا وراضي) أن اترك له اللوحات وهو سيُكمل ما تبقى ويكفي ما انجزته لهم، فأخبرته وأنا أضع اللوحات في حافظتها:

- أنا عارف إيه اللي ناقص ومش هياخد مني وقت هروح أنام شويه وأقوم أكمل،

خرجنا من المكتب والشركة وانطلقنا نحو الكراج الخاص بالمبنى التابع لنا والرؤية أصبحت لدي ضبابية للغاية، أحضر راضي سيارته لأصعد بجواره وتحركنا فورًا إلى منزلي،

نعاس شديد

ظل يتحدث معي في عدة أمور وكي لا أنام في السيارة أخرجت هاتفي من جيبي وقمت بمهاتفة علا والاعتذار لها عن عدم محادثتها اليوم، وأخبرتها أنني متعب للغاية وسأذهب للنوم مباشرة ولن أتواصل معها سوى في الغد،

أنهيت المكالمة بعد رجاء أن لا تغضب مني وبعد سماع محاضرة طويلة عن الاهتمام وقواعد فترة الخطبة المليئة بالمرح وأنني لو بهذا الإهمال في بداية علاقتنا فماذا سأفعل بعد الزواج ..

تداركت الأمر بعدة كلمات مقتضبة وأغلقت الهاتف تماما



ليبدأ راضي بمحاضرة طويلة هو الأخر يحدثني بغيظ:

- ما تسترجل يا كامل مالك عمال تحايل فيها بقالك ساعة كدا اديها على دماغها

لم أستمع ما قاله بعدها فقد غلبني النعاس حتى توقف راضي أمام بيتي ..

ترجلت من السيارة بالقوة الجبرية لأطلب منه وأنا أصعد الدرج

- معلش هتعبك معايا تفوت عليا الصبح

أكملت الصعود وأنا أحمل الأسطوانة المعدنية بصعوبة و دلفتُ لشقتي وأنا أجر قدمي..

ألقيتُ الأسطوانة على الأريكة، ودخلت لغرفتي وأنا اخلع السترة ورابطة العنق وأحل أزرار قميصي الأولية، وارتميت على فراشي كما أنا،

بعد مرور عدة لحظات كنت بين النوم واليقظة سمعت طرق وجلبة طفيفة تأتي من المطبخ تجاهلت الصوت وتوقعت أن يكون أحدا الجيران يضع القمامة أمام الباب الخلفي للشقة، اقتربت للنوم العميق ليوقظني الصوت مرة أخرى ولكن هذه المرة الطرق كان أقوى وبطريقة منتظمة يتبعها استغاثة بصوت أنثوي!

جعلني هذا الهرج انتفض من فراشي متقدمًا لأعرف مصدر هذا الصوت المزعج الذي لا يدعني أغفو في هدوء،



دلفت للمطبخ وأنا افرك جفني اللذين يأبيان أن ينفتحا، ثم رفعتُ يدي لأفتح الإنارة فوجدتها تقف أمامي ضغطت الزر سريعًا علها تختفي ولكنني رأيتها ترتعد بملامح مرتعبة ودموعها تتساقط على وجنتيها اللتين يغطهما اللون الأزرق القاتم نفس العينان الباكية ذات الهالات شديدة السواد ونفس الفستان القديم الممزق، حتى موضع الكدمات لم يتغير أصابني الفزع الشديد وعدتُ للخلف أهز رأسي لا أصدق أن كابوسي تجسد حقيقة.

- أنت مين؟! ودخلتي هنا ازاي ؟!

سألتها بوجل وأنا أحاول السيطرة على صوتي المتهدج وخوفي الذي أصبح شعورًا ثقيلا جدًا على قلبي أجابتني الفتاة وهي متسمرة مكانها تلتفت حولها كما فعلت في الحلم تماما :

- أنا محبوسة أنا وعيلتي في القرية أرجوك خرجنا من هناك!

*****

وللمـرة الثانيـة تنطـقُ بـنفس الكلمـات، حاولـت أن اقتـرب منهـا لأتأكـد مـن وجودهـا حقيقـة ولكنهـا رفعـت كفهـا فـي وجهـي وبنظرة تحذيرية ولهجة شديدة وحاسمة قالت لي:

- أوعى تقرب مني!

تصلبت مكاني وبنظرات زائغة مما يحدث سألتها:

- أنـا مـش فـاهم حاجـه؟! قريـة إيـه اللـي أنـتِ محبوسـة فيهـا ؟!

عيناهـا ذرفـت دموعـا مقهـورة وهـي تنظـر لـي بحسـرة وتخبرني من بين شهقتها :

- قرية الزوارعة اللي أنت جيتها امبارح

ضممت حاجبي بدهشة مرددا:

- بس القرية مهجورة ما فيهاش ناس

هزت رأسها بهستيريا وهي :

تحدق بي بغضب

- لاء فيها، كل اللي ماتوا موجودين هناك

كـاد قلبـي أن يخـرج مـن صـدري مـن سـرعة نبضـاته وقبـل أن أتسـاءل ثانيـة وقـد احتـل الرعـب جسـدي بأكملـه وجـدتُها تشـهق بذعر وازداد نشيجها وهي تردد

- عرفوا إني هنا



وفي لحظة فتح الباب الخلفي للمطبخ، إثر هواء شديد وعاصفة ترابية اجتاحت المكان حتى كاد الخواء يبتلعنا، مدتُ الفتاة يدها نحو الحافة الخشبية المُثبتة على الحائط لتتمسك بها فوضعت يدي فوقها لأشد عليها قبل أن تنجرف مع التيار العاصف فانسحبت الفتاة مع الهواء للخارج وهي تغرز أظافرها في الحافة حتى انزلقت ..

لحقت نفسها بسرعة عجيبة وتعلقت بكفي المرتعش وهي تصرخ عاليًا ولكنني لم أستطع إنقاذها وقد توقفت أنفاسي في صدري طارت هي من أمامي وصوتها الصارخ يصل مسامعي:

- لو فضلت في القرية للمغرب هتشوفهم، أنقذنا أرجوك..

توقفت العاصفة فجأة كما جاءت فجأة!

ثم أنغلق الباب الخلفي للمطبخ بينما قدامي تهتز برعب وجسدي يرتعش بغرابة؛ خطوة واحدة قمت بها لأسقط أرضا مغشيًا علي لعدة دقائق عرفتُ عددها حين فتحت عيني ونظرت نحو ساعة الحائط وأنا أحاول رفع رأسي الذي يؤلمني من السقوط فوجدتني بجوار فراشي نهضت اتلفت حوالي مثل المجنون وأنا اقول:

- مش ممكن يكون حلم دي كانت هنا!

ركضت نحو المطبخ فوجدت الباب الخلفي مغلق كما هو، ولا يوجد أي صوت أو حتى أثر لوجود أحد فيه، كل شيء يبدو طبيعيًا للغاية خرجت للصالة وجلست على أقرب مقعد



أمامي وأنا أشعر بالرعب من داخلي ولكن هناك إحساسًا قويًا يسيطر علي يُحدثني بإلحاح؛ يوجد بالفعل شيء خاطئ،

أنا لم أكن أحلم في المرة الأولى، وواثق أنني لم يكن ما رأيته في مطبخي حُلمًا على الإطلاق رفعتُ كفي لأرى أثر أصابعها عليه واضحة جلية كاد قلبي أن يقفز من صدري وأن اركض نحو الباب الخلفي لأجد علامة ثقوب انغراز أظافرها على الحافة الخشبية...

تقلصت معدتي وشعرت بجسدي ينهار وحرارته ترتفع بشدة وأنا أتسأل بحيرة **«من نقلني لسريري إذًا!»**

خطوت نحو غرفتي أحاول أن أوقف عقلي تحليل الافتراضات الغير منطقية والأسئلة التي تتقافز بداخله بلا هوادة؛

امسكتُ هاتفي وقمتُ بالاتصال « بمراد «صديقي وطبيب نفسي ماهر، مؤكد سيعرف ما أمر به،

وبعد السلام ومزيد من الحديث عن الأحوال تجاوزته دون طاقة تُذكر، أخبرته ما حدث بالتفصيل وأنا ألهث من التعب،

تخيلت وجهه المندهش مما أقول وعيناه المُحدقة بي فهو يعرفني جيدا لست أنا ممن يتأثر بهذه الخزعبلات،

ليتحدث مراد بحزم وهو يشرح لي الأمر بمنطقية كما حللته في بادئ الأمر ولكني كنت أحتاج أن يقنعني به أحدهم بهذه الصرامة حتى يستيقظ عقلي من تلك الأوهام التي غرق بها



- الأحلام دي يا كامل أو الكوابيس زي ما بتوصفها ما هي إلا اختراع من عقلك الباطن بعد ما المدير بتاعكم عملكوا شوية ساسبنس عن القرية واللي حصل فيها قبل ما تروحوا الموقع ..

اتبع حديثه بضحكة استهزائية

- أنت كمان شكلك مرهق ذهنيًا وجسديًا لأنك زي ما قولت ما ارتحتش بقالك فترة قصيرة مسلم موقع وبعدها دخلت على شغل جديد ، دا غير ضغط علا وفرحك اللي معدش عليه غير شهرين أو أقل

كنتُ أسمعه باهتمام وثقة وأنا أدحض عن عقلي ما يردده من أن مديري في العمل معتاد على قص تلك الحكايات ولم يحدث لي من قبل مثل هذه الأشياء، بالإضافة لأن العمل هكذا دائمًا بالكاد تُسلم موقع ونستلم غيره في التو واللحظة،

غير أني الوحيد الذي رأيت الطفل على قضيب السكة الحديدية التابع للقرية وهذا لم يكن حلمًا أو حتى كابوس بل كان حقيقة مختومة على يدي وعلى الحائط نظرتُ نحو الأثر على ظهر كفي وأنا أغلق الهاتف، ولكني لم أفكر كثيرًا؛

على أية حال لقد ارتاحت نفسي لهذا التفسير أو هكذا استطعت الهروب، وقررت في التو أن أنفذ وصيته وهي أن أنتهي من عملي النظري وأسلم الرسومات لزملائي واعتذر عن العمل الميداني ولا أذهب لهذه القرية ثانية..

لم أستطع النوم مرة أخرى رغم محاولاتي الكثيرة، فقررت أن أظل مستيقظًا حتى ميعاد العمل وفي خلال هذه الساعات



انتهي من رسومات المشروع وأسلمه وأخلي مسؤوليتي وأعتذر عن العمل الميداني كما اتفقت مع مراد بحجة تجهيزات منزل الزوجية وتحضيرات الزفاف الذي لم يتبق عليه سوى القليل انتهيت من كل شيء كما يجب ونظرتُ للساعة فوجدتها السابعة صباحًا

لقد تأخر الوقت بالكاد أذهب للشركة وبرغم أن العمل المتبقي لم يكن سيتجاوز الساعتين، ولكن الغريب في الأمر أنني كلما أنهيت قطعة وجدت غيرها الكثير وكأن عقلي يعاندني تحاملت على نفسي حتى انتهيت وأنا أتنفس الصعداء وأحمد الله، ارتديت ملابسي وانتظرت راضي الذي جاء على الفور صعدت لسيارته يتملكني النعاس وفي خلال رحلتنا أبلغت راضي بقراري عن التخلي عن هذا المشروع، اعترض راضي وحاول اثنائي عن هذا القرار المتهور من وجهة نظره؛

ولكنني أصريت بحجة زفافي ولم أبح له بالسبب الرئيسي فأنا أحاول نسيانه على أية حال،

وصلنا للشركة فصعدتُ مباشرة لمديري السيد شاكر وسلمته التصاميم الورقية ورشحت له زميلي مصطفى بأن يقوم بتعينه مشرف للموقع بدلًا عني،

وبعد محادثات بيننا كان بدايتها رفضه التام لتركي هذا المشروع ولكنه وافق في النهاية ولكن بشرط واحد هو إشرافي على الموقع الخارجي لمدة ثلاثة أسابيع فقط هي المدة المحددة لبداية المشروع بعدها أستطيع تركه في مقابل إجازة طويلة لمدة شهر كامل كان عرضًا مغريًا من مديري



العزيز جعلني اتخلى عن قراري لمدة ثلاثة أسابيع فقط وهي بالنسبة لي مدة قصيرة جدا،

ولكنني حين تذكرت عودتي لهذه القرية أنقبض قلبي لا إراديا ورغم هذا الشعور لم أتراجع بل اعتبرتها شجاعة أن أقدم مني على عمل بهذه الخطورة، هي مغامرة لن تكلفني الكثير ..

... أو هكذا كنتُ أتخيل

استأذنت يومها بالعودة لمنزلي بعد ساعتين فقط من وصولي لشعوري بإرهاق شديد ونُعاس لم أستطع أن أصرفه عني بثلاثة أكواب كبيرة من القهوة،

ذهبت للجراج وصعدت للسيارة بعدما خلعت سترتي ووضعتها في المقعد الخلفي ليلفت انتباهي ورقة صفراء قديمة ملقاة على الأرض يظهر طرفها من تحت المقعد انحنيت لالتقطها فوجدتها جزء مقطوع من جريدة يومية بها في عدة أسطر مقتطعة لا يتضح منها ولا يكتمل سوى أخر خبر سطر مكتوب به

« ولم يتم العثور عليهم رغم وجود السيارة التي كانوا بها كماهي أمام المشفى التابع للبلدة «

ألقيت بالورقة خارج السيارة وصعدت على المقعد الأمامي منطلقا بها تجاه منزلي شعرت بعدم توازني في القيادة لقلة نومي، وفي لحظات كدت بها أن اصطدم بعربة نقل ثقيل بعدما غفوت رغمًا عني،



أدرت عجلة القيادة لأقصى اليمين وأوقفت السيارة بصعوبة بعدما دخلت في عمق صحراء شاسعة تأففت من حظي العثر وحاولت العودة للطريق ولكني خفت أن افتعل حادث بحالتي هذه فقررت أن أنام قليلًا وأنا استند على عجلة القيادة لأجد نفسي فجأة استيقظ بجوار قضيب السكة الحديدة الموجودة بالقرية،

نظرت حولي في كل مكان فلم أجد احدًا على الأطلاق ترجلت من السيارة وأنا أنظر حولي بوجل شديد وأردد:

- أنا ايه اللي جابني هنا!

سمعت همهمات كثيرة تصل لأذني لا أعرف من أين تأتي، درت حول السيارة بحذر وبدأت أنادي بصوت عال:

- في هنا حد ..

توقفت الأصوات عن الحديث وفجأة مر بجواري القطار المتهالك الذي رأيته حين كنتُ في هذه البلدة اللعينة، وقعت على الأرض من شدة المفاجأة وشعرت بقلبي وهو يُخرج من صدري مع صفير القطار الذي صم أذني، تحاملتُ على نفسي لأقف فقد كانت قدماي مثل الهلام،

دخلت سيارتي وقدتُها بأقصى سرعة نحو الطريق باتجاه القطار وأنا أشعر بفزع واضطراب شديدين، وبعد مرور وقت طويل لم ألحظ به أي شيء غريب وجدتُ ممر صغير



لم أراه حين كنت هنا مع زملائي؛ ولكنه مؤكد سيخرجني على الطريق الرئيسي،

تجاوزت الممر بسرعة كبيرة وحين انتهى وجدتُ نفسي عند قضيب القطار مرة أخرى جحظت عيني من المفاجأة وانقباضات معدتي ازدادت مع ضربات قلبي الهادرة ولكني حاولت أن أتماسك قليلا ضغطت على محرك السيارة وانطلقت بالاتجاه المخالف بعد مرور نصف ساعة في هذا الطريق وجدتُ نفسي عند قضيب القطار مرة ثالثة نزلت من السيارة وبدأت اصرخ بشكل هستيري وأنا أقول:

- انتوا عاوزين مني ايه

تردد صدى صوتي في هذا الخواء ولم يجب أحد**!**

بدأت الشمس تتوارى خلف السحب وفي لحظة صراخي الشديدة وجدتها هي والطفل الذي رأيته سابقا يقفون خلف باب المبنى المكتوب عليه «الحجر الصحي»

عيناهم تنطق بالكثير دموعها تتساقط بغزارة بينما الطفل الواقف بجوارها ينظر لي بتأمل عجيب،

اقشعر جسدي وارتجفتُ من نظراته وخطوت بحذر ناحيتهم وأنا التفت حولي كالمجذوب خائفًا من المجهول وعندما وصلت للمبنى لم أجد أحدًا منهم، نظرت للسماء التي بدأت تختفي من أشعة الشمس وقد ازداد الارتعاد بداخلي أضعاف كدتُ بها أن اتراجع عن دخول هذا المبنى المقبض للنفس



كريــه الرائحــة ولكنــي وجـدتها هــي والطفـل يقفـان فــي الشــرفة فوقي وهي : تمسك بكتفي الولد الصغير وتهز لي رأسها ،

لم أفهم وقتها ما كانـت تقصـده ولكنـي بـدلا مـن أن أحـرك قـدمي المرتعشـان نحـو سـيارتي وأفـر هاربـا مـن هـذا المكـان البغـيض دخلــت المبنــى تصــرفت بغبــاء وقتهــا ولكنــي كنــت أريــد أن أخـذها معـي كـي تـدلني علـى طريـق العـودة، فكمـا قـال مـديري أنــه لا يخــرج مـن هـذه القريــة شـخص سـوى بصـحبة أحـد مـن أهلهـا نـور الشـمس التـي لـم تغـب بعـد كـان ينيـر المكـان إلـى حـد مـا، صـعدت الـدرج ووقفـت مكـاني أبحـث بعينـي عنهمـا، وفجـأة وجـدت الطفـل يجـري وهـو يضـحك بصـوت مرتفـع نحـو الـدرج الصــاعد للـدور الثــاني ركضـت خلفـه لامسـك بــه ولكنــي وجدتــه اختفى،

وبعــد لحظــات ظهــر وصــوت ضــحكته يرتفــع ثانيــة وهــو يهمس:

- تعال ورايا

ركضــت خلفــه لأجـد نفســي أصــعد نفـس الـدرج وهـو يـركض ويقهقه ويهمس لي:

- تعال ورايا

وكأنـــه مشـــهد يتكـــرر فـــي مقطـــع فـــيلم ســـينمائي، ارتعـــدت فرائصــي وألمتنــي قـدامي بشــدة مــن الصــعود باســتمرار وازداد رعبـي لعـدم قـدرتي علـى التوقـف وعلـى حـين غـرة لا أعـرف من الذي امسك بقميصي ليجرني خارج الدرج،



حينها استطعت التوقف وأنا ألهث من التعب والخوف الشديد ركضت لأخرج من هذا المبنى الملعون فلم أجد باب الخروج،

عدت من حيث جئت ولكن لا فائدة هي متاهة بكل ما تحمل الكلمة من معاني مريعة خوفي تحول لهلع وأنا أبحث في كل غرفة عن مكان للخروج كدت لوهلة أن أجلس على الأرض وأستسلم لهذا الإحساس البغيض ولكن تشبثي بالحياة جعلني استمر بالبحث إلى أن سمعت صوت ضوضاء في أحد الغرف تسلل الأمل لقلبي حين استرقت السمع فوجدتهم عدة رجال يتحدثون وهناك صوت عبر المذياع يُنعش سمعي ، التقطت أذناي بعض العبارات من المذيع وهو يلقي نشرة الأخبار ولكني لم أهتم بهذا الخبر وقتها،

تهللت أساريري وقبل أن أطرق الباب وجدتها تمسك يدي بقوة شديدة وتبرق بعينيها التي أضاءت بلمعة تحذير وهي تحرك شفتيها دون صوت:

- اوعى

نظرت ليدها التي وجدتها تتلون بكدمات زرقاء وحمراء فرفعتها هي عن كفي وهي تحذرني بحركة على فمها ألا اتحدث ثم خطت أمامي كي أتبعها!

مشيت خلفها بهدوء لتدخل ممر وتخرج من آخر بدأ الظلام يحل على المكان فأسرعت الخطى وأنا أركض وراءها برعب يزداد أضعاف كلما أظلم المكان،



وقبل أن أفقد الأمل بلحظات وجدت نفسي أمام سيارتي، اقتربت مني بشدة وهي تهمس لي:

- اجري وأوعى تبض وراك
- وفي آخر جملتها صرخت حتى اصمتني
- اصح يا كامل

صوت بوق عربة نقل مرت بجواري جعلني انتفضت حتى اصطدم رأسي في سقف سيارتي وأنا أنظر حولي مثل المجنون لأجد نفسي في الصحراء ثانية لا أعلم إلى الآن كيف خرجت وقتها بالعربة على الطريق السريع وأنا أقود على عجل وقد تجاوزت المئة وثمانين كيلو لأول مرة في حياتي وكأنني أركض على قدمي مهرولا مذعورًا أكد أختنق من خوفي الشديد وأخيرًا وصلت لمنزلي واهن الجسد أجر قدمي نحو شقتي وقد كرهت النوم على الإطلاق

جلست على أقرب مقعد قابلته واختبرت مقولة كنت أسمعها دومًا ولكني لم أجربها يوما ألا وهي « **قليل الحيلة** » أنا الآن قليل الحيلة لا أعرف ما الذي جرى لي ولما أنا تحديدًا، ومن هؤلاء وماذا يريدون مني؟! انهالت الأسئلة على عقلي كسيول من أمطار تتساقط دون هوادة، أخرجت هاتفي من جيبي وقمت بالاتصال بها «علا» فلم أجد ملاذ غيرها ،



حدثتها لتقابلني في الخارج على الفور، تعجبت من إصراري ولكنها راعت حالتي النفسية من صوتي وقابلتني بعد نصف ساعة، وبعدما جلسنا شعرت على الفور بشيء غريب يحدث معي لم أستطع وقتها تفسيره؛ فكما قالت لي وصفا لحالتي:

- مالك يا كامل وشك أصفر ليه كدا وشكلك زي ما يكون شوفت عفريت
- عفريت!!

رددتها بعقلي ولكني ادخرتها لوقت لاحق وقصصت لعلا كل ما حدث معي تفصيلًا،

تلون وجه الفتاة عدة مرات خلال حديثي قائلة:

- تعالى نقعد في العربية أفضل

لتقترب مني تعجبت من طلبها ولكني وافقتها وعدنا نجلس في السيارة لتقول لي بصرامة

- الدكتور بتاعك دا بلح، حالة نفسية إيه وهبل إيه اللي صدقته دا؛ الموضوع أخطر من كدا بكتير يا كامل أنت بتقول انقذتك وخرجتك من القرية النهارده صدقني البنت دي لو ما اتعالجتش المرة الجاية مش هتخرج من هناك..



ضممت حاجبي بذهول حين سمعت ما قالته لي علا فقد كنت أظن أنها ستتحدث عن الهواجس والتهيوءات وما إلى ذلك ولكنها فاجأتني لأردد بعقلي كالعادة:

- بس أنا كل دا كنت بحلم يا علا ما فيش حاجة حقيقية..

صمت لبرهة وأنا أسمع ما أقوله لأعود سريعًا:

- أنا ااه
- قصدي يعني بصحى الاقيني : كنت بحلم بس الحلم بالنسبة لي كأنه حقيقة..

ضيقت عينيها وهي تنظر لي قائلة:

- ما تغالطش نفسك يا كامل أنا عارفه أنك شخص عملي وبتعتبر اللي بقوله دا تخاريف بس صدقني دي الحقيقة أنت عارف أني عندي اهتمام خاص بعلم الماورائيات وعشان كدا بقولك اللي فيها

شعرت بقلة حيلتي تزداد أضعافا ورددت بشرود:

- طب أنا أعمل أيه دلوقتي...

ثم بصوت أخرجته ثابتا بشق الأنفس:

- علا أنا نفسي أنام.. أنا كدا بنهار

زمت شفتيها بشفقة وأمسكت يدي تربط عليها:

- ما تقلقش يا كامل هتصرف

ثم اخرجت هاتفها لتفتح موقع التواصل الاجتماعي



الخاص بها وهي تضيق عينيها تبحث عن شيء ما بتركيز تام حتى وجدت ضالتها صاحت بفرحة وهي تنسخ رقمًا وتبعثه لي في رسالة نصية وهي تقول:

- دا اللي في إيده الحل كلمه دلوقتي.. يلا

ارتفع صوتي بضيق:

- هو مين دا اللي أكلمه يا علا؟! وايه في ايده الحل دي! أنت خلاص أجزمت اني ملبوس!

تأففت بعصبية قائلة:

- أنا أصلًا غلطانه والله أني بحاول أساعدك

ثم فتحت باب السيارة لتخرج منها بغضب، نزلتُ خلفها أزفر بامتعاض فأنا الأن لا ينقصني استياء علا حاولت إيقافها ولكنها أوقفت سيارة أجرة وركبتها وهي تتجنب النظر نحوي تركتها ورجعت لسيارتي ثم تحركت بها نحو المنزل وأنا استشيط غضبًا مما حدث،

وقفت تحت المنزل خائفًا لا أريد الصعود والنوم يداعب فقلتاي، فلو صعدت سأنام مكاني أخرجت هاتفي كي اتحدث مع علا ولكني وجدت هاتفها مغلق كالعادة كلما غضبت مني بسبب استهزائي بخيالها الغريب

عدت لمراسلتها وعقلي يحثني أن أكلم هذا الرجل ولكني توقفت فأنا لا أعلم حتى اسمه!

اغمضت عيني بيأس وزفرت بضيق لأتذكر عندما كانت تبحث عن اسمه لفت نظري اسمه الثالث،

فبحثت عنه بهاتفي سريعًا فوجدت عدد لا بأس به من الأشخاص تأففت وأنا أنظر للرقم ومنها لمنزلي الذي يبعد عني بضعة خطوات،

وقررت أن أتصل به فأنا لن أخسر شيئا على أية حال، وتمنيت أن يطمئنني ولو قليلا حتى أصعد لشقتي، ضغطت زر الاتصال ليأتيني رسالة مسجلة تقول:

مرحبًا بكم في مكتب الدكتور الروحاني الكبير السيد مختار زين الراعي

Welcome to the office of the spiritual

Expert mokhtar Zen Alraey

للغة العربية اضغط رقم1 for En.. أنهيت المحادثة على الفور فأنا أعرف جيدًا هؤلاء الأشخاص؛

ستستمر الرسالة الصوتية لأجل غير مسمى ولن أجني شيئاً سوى سماع الصفير الخاص بالانتظار أو توصيلي بأحد المساعدين وتحديد موعد في وقت لاحق إن لم يكن بعد شهور من الآن شعرت بالضيق الشديد لعجزي وبأنني بمفردي في هذا الأمر لا أحد يساعدني ولا حتى هناك أحد يُخبرني ما الذي يجب علي فعله،

نظرت لشقتي عبر النافذة وقررت أن أصعد وليحدث ما يحدث، وقبل أن أترجل من السيارة رن هاتفي لأجده رقم غير مدون ترددت في الإجابة فمؤكد هو أحد العملاء،



انتهى الرنين وأنا أغلق سيارتي وأصعد الدرج لأجده يرن مرة أخرى!

لم أجد مهربا سوى الإجابة ليأتيني صوتًا حادًا وفخيمًا لشاب يقول لي:

- أنا مختار زين الراعي أنت حاولت تتصل بيا يا بشمهندس.. لأمر مهم أحب أعرفه، ممكن نتقابل دلوقتي

تعجبت بشدة مما جعلني أفقد النطق للحظات ليباشر بها حديثه

- ما تستغربش قوي إني كلمتك لسه على الاستغراب كثير.. صدقني أنت في ورطة وما حدش هيعرف يساعدك غيري

أيقنت أنه شخص غير طبيعي، كيف استطاع معرفة ما أمر به دون أن اخبره بشيء!

وافقت على مقابلته فأعطى لي عنوان مكتبة الخاص وطلب مني زيارته وحين سألته على المال الذي سأدفعه مقابل مساعدتي أجابني بضحكة سمعتها جيدًا عبر الهاتف:

- ما تخافش أنا ما بعملش كدا بمقابل مادي هحتاج منك خدمه هطلبها منك لما يجي وقتها،

رغم حيرتي الشديدة لم اتساءل على الخدمة التي يريدها ولم يكن لدي طاقة للمجادلة أو محاولة فهم شيء ما،

نزلتُ بضع الدرجات التي صعدتها وعدت لسيارتي منطلقا نحو مكتب الدكتور مختار كما يلقبونه...



وصـــلت لمكانـــه فـــي بنايـــة عتيقـــة تقـــع فـــي منطقـــة حيـــة فـــي وســـط البلـــد صـــعدت للطـــابق الثالـــث لأجـــد لافتـــة كبيـــرة مدون عليها اسمه بالمعدن الملون باللون النحاسي،

ولكـــن بـــاب مكتبـــه مغلـــق نظـــرت لســـاعتي التـــي لـــم تتجـــاوز الثامنـــة مســـاء فتعجبـــت لمـــاذا يُغلـــق مكتبـــه فـــي هـــذه الســـاعة المُبكـــرة وقبـــل أن أرفـــع يـــدي لأضـــغط الجـــرس الموجـــود يمين الحائط وجدته يفتح الباب بابتسامة لطيفة قائلا:

- اتفضل يا بشمهندس كامل

لـــم أتعجـــب مـــن مقابلتـــه لـــي وأنـــا لـــم أطـــرق بابـــه حتـــى ولكنـــي اندهشـــت مـــن معرفتـــه لاســـمي فأنـــا لا أذكـــر أننـــي قولت له اسمي أو حتى رددته عبر الرسالة الصوتية !

مـــن الممكـــن أن أمـــرر اتصـــاله بحجـــة أن رقمـــي ســـجل علـــى الحاســـوب المؤكـــل بـــالرد الألـــي، وســـأمرر أيضًـــا مقولتـــه أننـــي فـــي مـــأزق فمـــن الطبيعـــي أن أتصـــل بـــه إذا كنـــت فـــي مشـــكلة أو وقعـــت فـــي فـــخ الماورائيـــات فهـــذا تخصصه في النهاية، ولكني لن أمرر معرفته لاسمي!

لذلك استمريت على وقفتي وأنا أسأله بوضوح:

- أنت عرفت اسمي منين

ظل على ابتسامته اللطيفة وهو يُجيب

- اتفضـــل الأول وأبقـــى اســـأل علـــى اللـــي أنـــت عـــاوزه جوه



شـــاب يبـــدوا أنـــه فـــي منتصـــف الثلاثينـــات جســـده لـــيس بنحيـــل ولكنـــه يتميـــز بوجـــه مـــريح وابتســـامة لطيفـــة، يرتـــدي عوينـــات شـــفافة ولـــه نظـــرة ثاقبـــة ومتفحصـــة دلفـــت خلفـــه للـــداخل فوجـــدت مكتبـــه يتميـــز بالأناقـــة والبســـاطة وعلـــى عكـــس أمـــاكن مـــن يعملـــون فـــي هـــذه المهنـــة فمكتبـــه مـــريح للـــنفس ولـــيس مقبضًـــا وتفـــوح منـــه روائـــح البخـــور المنفـــرة كالأغلبيـــة العظمـــى تتبعتـــه حتـــى وصـــل لغرفـــة بابهـــا مغلـــق وحـــين فتحـــه لفحتنـــي نســـمة بـــاردة مـــن الـــداخل جعلتنـــي أتـــنفس بعمـــق وراحـــة غريبـــه شـــعرت بجســـدي يســـتكين ويهـــدا مـــن تشـــنجاته التـــي لازمتنـــي الأيـــام الأخيـــرة الماضية.

جلســـت علـــى مقعـــد وثيـــر تميـــز أيضـــا بالراحـــة لأســـأله بتوجس

- عرفت اسمي منين بقى ؟

وقـــف خلفـــي وأجـــابني بهمـــس وهـــو ينحنـــي وابتســـامته تزين ثغره

- أصل أنا مخاوي

رفعـــت رأســـي ســـريعا أنظـــر لعينيـــه قبـــل أن يعتـــدل هـــو ويجلـــس علـــى المقعـــد الـــذي خلـــف مكتبـــه الخشـــبي البســـيط ليكمل وكأنه لم يقل شيء:

- تحب تشرب ساقع ولا سخن ؟



ضممت حاجبي لينثني بجانبه يفتح ثلاجة صغيرة بجواره مخرجا منها زجاجتين من المياه الغازية وزجاجة مياه عذبة وهو يحدثني

- تشرب حاجه ساقعه تروق دمك وبعدين تحكيلي إيه اللي حصلك مع الزوارعه.

*****

شعرت بغضب شديد من هذا الرجل، وأنا أراه يتلاعب بي!

بالتأكيد علا حدثته عني وعما حدث لي وأعطت له

اسمي ورقم هاتفي

نظرت له بحنق شديد وأنا اسأله:

- طيب ما تقول من الأول أن علا خطيبتي كلمتك وأدتك رقمي واسمي وحكتلك الحكاية لازمته أيه اللف والدوران،

حدق بي للحظات وهو يقول:

- صدقني يا بشمهندس أنا لا أعرف علا خطيبتك ولا حد كلمني اداني رقمك وحكالي حكيتك

ثم ناولني زجاجة المياه الغازية لأرفض أن أخذه منه وأنا أردد:

- أمال عرفت كل دا عني منين؟!

أجابني بنفاذ صبر وبلهجة حاده:

- ما قولتلك مخاوي يا بشمهندس

حـدقت بـه بدهشـة ليكمـل هـو ببسـاطة شـديدة وهـو يضـع الزجاجة أمامي على المكتب

- أنـت فـاكرني بشـتغلك اهـو أنـتم كـدا مـع اللـي يجـي معاكم دوغري...

وقفت لأرحل فأمسك بيدي:

- اقعد يا كامل بيه مش كدا،

ثم أحاطني بنظرة شمولية صادقة وهو يقول:

- صـدقني ماحـدش هيسـاعدك غيـري، اسـتهدى بـالله كـدا واقعـد احكيلـي واشـرب الحاجـة السـاقعة وأنـا هقولك على الوقعة اللي وقعت نفسك فيها ...

جلسـت ثانيـة فلـيس بيـدي حيلـة فلقـد حسـبتها سـريعًا كعـادتي فـي حسـاب كـل شـيء، لـو اسـتطاع مسـاعدتي لكـان خيـر وإن لـم يسـتطيع فقـد أخرجـت مـا فـي جـوفي لأحـد علـى الأقـل سـيفهم مـا أعانيـه ولـن يعتقـد أنـي مجنـون قصصـت عليـه مـا حـدث معـي بالتفصـيل وهـو يسـتمع جيـدا وبدقـة شـديدة لمـا أقـول، ظـل طـوال حـديثي ينظـر لـي، باهتمـام ويُقـيم كـل كلمـة أقولهـا بـل ويـدون

أشـــياء فـــي مدونـــة ورقيـــة صـــغيرة أخرجهـــا مـــن درج مكتبه، انهيت حديثي بسؤاله:

- ممكـــن تقـــولي بقـــى إن اللـــي بيحصـــلي دا مجـــرد أحـــلام أو أوهـــام مـــن عقلـــي البـــاطن ولا حالـــة نفســـية بســـبب مـــديري الله يســـامحه واللـــي قالهولنـــا وعيشـــنا فيه يومها،

أغلـق المدونـة والقلـم وخلـع عويناتـه ليضـعها فـوق الـدفتر الصـغير ثـم قـال لـي بجديـة بعـدما تخلـى عـن ابتسـامته البشوشـة التـي لـم تفارقـه إلا عنـدما بـدأت أقـص عليـه قصتي:

- للأســـف دي لا أوهـــام ولا حالـــة نفســـية يـــا بشـــمهندس دي حقيقـــة وواقـــع، بـــل وهزيـــدك مـــن الشـــعر بيـــت لـــو كانـــت البنـــت دي مخـــرجتكش مـــن المبنـــي مكنـــتش هتبقى قدامي دلوقتي..

ضيقت عيني وأنا اخبره:

- قصدك الحلم؟!

ليجيبني بثبات:

- مكـــنش حلـــم دا كانـــت حقيقيـــة ملموســـه؛ شـــمر كـــدا قميصك وشوف علامة إيد البنت على إيدك

وكالمجـــذوب فعلـــت ســـريعًا لأجـــد أصـــابعها الأربعـــة محفـــورة علـــى رســـغي حينمـــا أمســـكت بـــي لتمنعنـــي مـــن



الطـــرق علـــى البـــاب اســـتمريت لـــدقائق أحـــدق لأثـــر أصـــابعها وأرفـــع رأســـي لأنظـــر نحـــو مختـــار ثـــم أعـــود لأتأكـد مــن وجــود هــذه الكــدمات علـــى ،رســغي، وظللــت هكـــذا عـــدة مـــرات وعقلـــي توقـــف تمامًـــا عـــن التفكيـــر أو التحليل أو حتى البحث عن المنطق،

رددت بخفوت

- إيه اللي المفروض اعمله دلوقتي؟!

تنهد بعمق يبين تفكيره وهو يقول لي:

- القريـــة دي أنـــا وكـــل اللـــي بيشـــتغلوا فـــي المجـــال دا؛ اللـــــي همـــــا الروحـــــانيين الأصـــــليين مـــــش الـــــدجاليين اللـــي مـــاليين البلـــد... كلنـــا بـــلا اســـتثناء عـــارفين إن فـــي حاجــه مــش عاديــة حصــلت هنــاك ولكــن مــا فــيش حــد فينـــا عـــرف حقيقـــة الأمـــر لحـــد وقتنـــا هـــذا، طبعـــا أنـــت ســـــمعت عـــــن حـــــالات الاختفـــــاء اللـــــى حصـــــلت للمجنــدين هنــاك ولكــن فــي حادثــة حصــلت مــا فــيش حـــد لوقتنـــا هـــذا يقـــدر يـــتكلم عنهـــا وهـــي اللـــي كانـــت السبب في قفل الثكنات نهائي.

بـــدأ الخـــوف يتســـرب لـــداخلي مـــرة أخـــرى ولكـــن هـــذه المـــرة كـــان خشـــيتي مـــن المجهـــول ورهبـــة مـــن الخـــوض ومـــن الواضـــح أن هـــذا المجهـــول قوتـــه فـــى امـــور اكبـــر مني عاتية ولن استطيع مجابهتها.

فكـــل مـــا أريـــده الآن أن يســـاعدني هـــذا الشـــخص علـــى تخطـــي الأمـــر وأن تتوقـــف هـــذه الفتـــاة عـــن زيـــارتي ولـــن أتطرق لهذه المواضيع مرة أخرى.

حتـــى قـــررت فـــي لحظتهـــا أن ارفـــض أي عمـــل فـــي امـــاكن مثل هذه القرية.

لـــم أســـتطع أن أســـأله عـــن الحادثـــة التـــي ذكرهـــا منـــذ قليـــل ولا عـــن تفاصـــيل مـــا جـــرى هنـــاك. أنـــا لا أريـــد الاقتـــراب من تلك الأشياء ولذلك قبل أن يتحدث ثانية أوقفته

- أنـــا مـــش عـــاوز أعـــرف إيـــه اللـــي حصـــل يـــا ســـيد مختـــار أنـــا عـــاوزك تقـــولي أبعـــد أزاي عـــن الحاجـــات دي...

أجاب ببساطة جعلتني أرتعب أكثر

- مـــش احنـــا اللـــي بنختـــار نقـــرب أو نبعـــد يـــا بشـــمهندس كامـــل، الأرواح اللـــي أنـــت بتقـــول عليهـــا حاجـــات دي إرادة وهـــدف وعنـــدها قناعـــة ليهـــا قـــرارك بالبعـــد مـــش بمزاجـــك أو حتـــى تقـــدر تنفـــذه؛ هـــي اختارتـــك لسبب وعشان تنجو بنفسك لازم تعرف السبب دا

رغـــم هـــول مـــا ينطـــق بـــه إلا إنـــه محـــق، فمـــا أعلمـــه جيـــدًا أننـــي بالفعـــل لـــم اقتـــرب مـــنهم ولا مـــن هـــذا العـــالم علـــى الإطلاق،



جل ما فعلته هو التحديق بالطفل الذي كان يركض على القضيب هل هذا هو جُرمي الوحيد؟!

رغم ارتجاف جسدي من أثر كلماته قلت له بانفعال واضح

- أنا ما فيش حد هيفرض عليا الخرافات دي واللي أنت بتقوله دا مش صحيح أنا لا عاوز اعرف عن القرية دي حاجه ولا عن اللي حصل فيها، ومن بكرة الصبح لو وصلت إني اقدم استقالتي واسيب المشروع كله هعمل كدا...

ثم وقفتُ بعنف مرددا:

- بعد إذنك يا دكتور مختار وشكرًا لاستقبالك واستماعك ودي الفيزيتا...

أخرجتُ ورقة من فئة ال مئتين ووضعتها أعلى مكتبه والغريب أنه لم يوقفني،

انصرفتُ عائدًا لمنزلي وما زال جسدي يشتعل بالغضب نزعت جميع ملابسي ودلفت لدورة المياه ووقفت تحت صنبور المياه الباردة لأول مرة في حياتي فأنا لا أستسيغ برودة الماء أبدا،

ولكني ومن الأن سوف أبدأ في تحدي كل ما ابغضه كي أثبت لنفسي ان قراري بيدي وليس بيد أحد آخر حتى لو كان الآخر هذا مجرد شبح اغمضت عيني لتتساقط كل أفكاري ومخاوفي وهمومي في حوض الاستحمام مع المياه التي تتجرف نحو فتحات الصرف



وفجأة وأنا أتمرن بزفير وشهيق متناوبين شعرتُ بأنفاس حارقة تلفح وجهي فتحت عيني سريعًا فوجدتُ خيال أسود يمر من خلف الزجاج الفاصل بين حوض الاستحمام ودورة المياه، فركت عيني بقوة وضيقتها وأنا أمسح بخار الماء بكفي وانظر من خلف الزجاج بتدقيق فلم أر شيئًا!

زفرت بضيق وأغلقت الصنبور واستدرت لأفتح الباب الزجاجي الذي يحاول الحوض، لأجده في وجهي!

رجُلٌ ضخم الجثة أسود الوجه والعينين، حدقتاه تتسع أمام مقلتاي باللون الرمادي صرخت بفزع وعدت للخلف فاصطدم رأسي بالحائط لأقع مغشيا علي..

وحين فتحت عيني وجدتُ نفسي في القرية للمرة الثالثة ولكن هذه المرة كانت مليئة بالسكان أطفال ورجال وشيوخ يمرون من أمامي ولا أحدٍ منهم يلتفت لي أو حتى يشعر بوجودي!

يقومون بمهام يومية طبيعية يرتدي الرجال الجلباب الطويل ذو فتحة الصدر الضيقة بينما ترتدي السيدات منهم العباءة الملونة المنقوشة وتضع فوق رأسها

قماشــة شــفافة ســوداء تغطـــي شــعرها بحشــمة معتـــادة فـــي هذه المناطق الريفية،

يـــركض الأطفـــال الصـــغار بملابـــس بيتيـــة بســـيطة للغايـــة وأنـــا أقـف فـــي المنتصـف لا أفهـــم مـــا الـــذي جـــاء بـــي إلـــى هنا ؟!

انقلبـــت الأجـــواء فجـــأة بأصـــوات صـــفير وأبـــواق تخـــرج الثكنـــة العســـكرية تتبعهـــا المســـاجد فـــي مكبـــرات الصـــوت بتنبيـــه مســـموع «غـــارة طفـــوا النـــور.. انزلـــوا علـــى الخنادق »

تكـــررت هـــذه الجملـــة ثـــلاث مـــرات يفصـــل بينهمـــا صـــوت صـــفير الإنـــذار ليـــركض بعـــدها جميـــع مـــن حـــولي فـــي كـــل الاتجاهات،

جريـــت خلفهـــم لأجـــد مـــنهم مجموعـــة تنعطـــف يســـارًا فتتبعتهم حتى وقفوا أمام بناية بدائية،

فـــتح أحـــدهم البـــاب الخشـــبي المغلـــق بقفـــل كبيـــر لينـــزل بعـــدها الجميـــع لأســـفل بـــالتوالي؛ الأطفـــال ثـــم تتـــبعهم النســـاء وآخـــرهم الرجـــال نزلـــت معهـــم وأنـــا أردد « يعنـــي إيـــه غـــارة؟ هـــو احنـــا فـــي ســـنة كـــام؟!» لـــم يســـمعني أحـــد ومن الواضح أنهم لا يرونني أيضًا...



نزلنا جميعًا لمكان واسع نسبيًا مفروش بسجاد قديم ومهترئ وهناك في الجوانب براميل نحاسية كبيرة علمت فيما بعد أنها تحوي بعض الطعام الطازج...

جلسوا يفترشون الأرض وأنا أتابع كل شخص في هذا المكان بعيني وأحاول استراق السمع علني أفهم سبب وجودي هنا،

الأطفال يلتصقون بأمهاتهم، بينما أحد الصغار يضع رأسه على ركبة أمه ليقول بحزن شديد

- هي الحرب دي مش هتخلص بقى يا أمي مش كفاية بابا مات وهو بيحارب هما عاوزين يموتونا احنا كمان

أجابته أمه بكلمات مقتضبة ولكنها ذات معان كبيرة وعظيمه

- ما تخافش يا حبيبي لو موتونا كلنا مش هيلاقوا حد يحكموه أنما هما بيخوفونا بس...

كان على الجانب الآخر مجموعة من الشباب لم ألا حظهم ونحن ننزل لهذا المخبأ، ولكن لفت نظري أحدهم وهو يقول للآخر بصوت مرتفع نسبيا :

- مجرد ما الضرب يقف هنخرج احنا ال ٨ من هنا «إسماعيل» عارف الطريق وإن شاء الله نوصل لمكان آمن لأن الزوارعة خلاص مبقتش أمان

رد عليهم ثالث:

- الشيوخ لسه مصممين . ما حدش يخرج من القرية ؟!

أجابهم رجل من الجالسين طاعن في السن

- مافيش خروج من هنا ولو قدرنا نموت يبقى نموت على أرضنا وأرض أجدادنا...

ليردد أحدهم بثقة:

- ما حدش هيعرف يدخل الزوارعة ويخرج منها ما تقلقوش لو دخلوا علينا هندكهم بالأرض.

علامات الغضب ارتسمت على وجه أحد الشباب الجالسين ليقول بغيظ ظهر على صوته:

- ولو دكونا هما بقنابل يا شيخ سعفان هيبقى إيه العمل ؟!

ضيق الرجل عينيه بحنق مُجيبا:

- وهو جيشنا لما يبدأ الحرب هيقدروا يطيروا طيارة واحدة فوق سمانا بس يا ابني أسكت بلاش خيابه أنتم أصلا قاعدين هنا ازاي زي الستات كدا مش مع جنودنا اللي بيدفعوا دمهم عشان يخلصونا من الخونة الأندال ويحرروا بلادنا من اليهود ولاد ال...

حرك الشاب الذي ينادوه بإسماعيل رأسه لجانب آخر متمتما:



- خليكم عايشين في الوهم لحد ما تموتوا مكانكم...

توقف صوت الضرب بالخارج، وعادت الكهرباء لتضيء الأضواء عتمة هذا المخبأ فهلل الجميع بالتكبير وبدأوا في الصعود وأنا معهم لأجد خمسة من الشباب معهم ثلاث فتيات يلتفتون حولهم بريبة وكلا منهم يحمل حقيبة من القماش بحجم كبير خلف ظهره ليتقدم منهم إسماعيل قائلًا بهمس:

- أمشوا ورايا بهدوء عشان محدش يشك فينا، خلونا نخرج من هنا على خير عشان لو حسوا بينا مش بعيد يقتلونا مكانا...

اومأ له الجميع وعلامات الهلع والخوف الشديد تظهر على وجوههم جميعًا وبالأخص الثلاث فتيات انطلقوا خلفه وأنا وراءهم لأجده يتخذ عدة طرق ملتوية بعيدة عن سكان القرية وكأنه طريق خاص للهرب خارج البلدة لا يعرفه سوى القليل، وهذا ما سمعته من أحد الفتيات تقول للأخرى

- إسماعيل بن عم علي الوحيد من شباب البلد اللي عارف الطريق دا، الحمد لله أنه وافق يخرج معنا..

لتسألها صديقتها:

- هو خرج أهله مش كدا؟!



أجابت الأخرى بهمس بالغ

- أيوه وداهم البندر وقعدهم في حتة أمان بعيد عن هنا خالص

تعجبت الثالثة وهي تقول:

- هو من عيلة مين؟ ورجع تاني ليه؟!

أحنت صديقتهم رأسها متمتمه

- من عيلة أبو الغار وعبد الصبور أخويا قالي إنه رجع عشان يبيع أرض أبوه لعم منصور في السر من غير ما القرية حد يعرف وعشان كمان الشيوخ يشوفوه في ما يحسوش بغيابه لأنهم لو حسوا بغيابه هيدورا عليه وهيقتلوه هو وعيلته كلها لأنه عارف طريق الدخول والخروج من هنا واللي بيعرفهم محكوم عليه بالسجن جوه القرية ممنوع يخرج منها،

لاحظت أن أحد الشباب الذين يتبعون الفتيات يستمع جيدًا لما يقولونه وكأنه لا يعرف عما يتحدثون مثلي، اقتربت منه اتفحص نظراته الزائغة بقلق ولم أشعر بالراحة تجاه هذا الشخص ولم أعرف وقتها سبب شعوري هذا،

ازدادت خطواتهم سرعة داخل هذه المنحنيات حتى وصلوا لمنطقة صحراوية وقفو
إسماعيل الذي قال لهم بجدية تامة







- المنطقــة دي خطــر جــدًا وارد مــا نخــرجش مــنهم كلنــا ســلام خــدوا بــالكم كــويس ودوروا علــى أي حاجــة تتحــاموا فيهــا وامشــوا جنــب بعــض وديمًــا رأســكم لتحــت ولــو ســمعتم أي صــوت تختفــوا وتســتخبوا فــي أي حته تلاقوها خندق بيت مهدود، أي حاجه

نظر لوجوههم المذعورة ليكمل بثبات

- أنــا جازفــت وعرضــت حيــاتي وحيــاة عيلتــي للخطــر عشان خاطركم يلا وخلو البنات ورايا...

ثم أشار على الشباب الأربعة قائلا:

- وأنــتم خلــيكم ورا البنــات فــي مجمــوعتين أدعــوا ربنــا ينجينا ويلا بينا نتوكل على الله

انطلقــوا للأمــام وفعلــوا كمــا أمــرهم ليتوغلــوا وســط الصــحراء الشاســعة وبعــد عــدة دقــائق فــزع الجميــع مــن صــوت الطــائرات التــي خرجــت فــي أســراب كثيــرة فهلعــت قلوبنــا جميعًــا حتــى أصــبحت تقتــرب مــن الحناجر،

توقــف الثمانيــة بفــزع شــديد يبحثــون عــن أي شــيء يختبئــون ،بــه حتــى وجــدوا ســهل صــغير ركضــوا نحــوه والرعــب بــات مُظلمًــا علــى وجــوههم، بينمــا ظلــت تصــرخ الفتيــات بــذعر ليحــاوطوهم الشــباب حتــى تجمعــوا خلــف الســهل واحنــوا رؤوســهم لتبــدأ صــوت القنابــل المتساقطة في إعلان الحرب...

اشتعلت التفجيرات على مقربة منا ليبتلع الجميع ألسنتهم بخوف وهم مُغمضين العين محنين الرأس يضعون كفوفهم على آذانهم في مشهد له هيبة في القلوب لم أستطع تخيله يومًا!

دقات قلوبهم التي تعدو بصوت أسمعه بأذني واضح كوضوح المتفجرات التي تنهمر عليهم من السماء كالمطر الغزير نظرت نحو القرية التي خرجنا منها للتو فوجدت القنابل تهطل على سمائها أيضًا فتصطدم بالأرض وتحدث انفجار كثيف تتصاعد من حوله النيران ليلتقط الجميع أنفاسه فتكتم هذه الأنفاس ثانية عند سقوط قذيفة أخرى وهكذا حتى غطى الدخان الكثيف كل ما حولنا لتتحشرج الأنفاس وتثقل الأجسام ويقع الجميع مغشيا عليه خلف السهل بينما أنا أشعر بنفس الثقل لأصمد عدة دقائق قبل أن تتباطأ أنفاسي من الاختناق ثم أغلقت عيني التي تحرقني بشدة رغمًا عني ولم أشعر بشيء بعدها!

*****

تناهي صوتها إلى سمعي عدة مرات لأشعر بجفني ثقيل للغاية فقاومت إلى أن سمعت صوت امرأة مذعورة تبكي بحرقة يأتيني من بعيد:

- يا دكتور عمرو أرجوك الحقني أختي حامل وقعت من على سلم العمارة وفقدت الوعي وهي هنا بقالها يومين وما فيش أي استجابة منها، هما قالولي إن حضرتك اللي بتابع حالتها من فضلك قولي الحقيقة..

حاولت مرة أخرى أن أخرج من هذا الهذيان حتى استطعت فتح عيني لأجد وجه علا أمامي تنظر لي بهدوء قائلة:

- حمد لله على السلامة يا كامل

نظرت حولي بذعر باد على وجهي فتعجبت علا وهي تهدئني قائلة:

- إيه مالك اتفزعت كدا ليه ما تخافش احنا في المستشفى

تسألت بدهشة:

- مستشفى إيه ؟! هو إيه اللي حصل

ضمت حاجبيها بتعجب

- المفروض أنت اللي تقولي إيه اللي حصل!

اعتدلت جالسًا وبعدم فهم قلت لها:

- مين اللي جابني هنا أنا آخر حاجة فاكرها إني كنت في الحمام...



ذمت شفتيها بأسف لتقص لي ما حدث

- أنا حاولت اتصل بيك كذا مره لما جاني رسايل أنك اتصلت بيا وتليفوني كان فصل شحن تليفونك كان مقفول قلقت واتصلت على التليفون الأرضي كتير برده أنت ماردتيش فكلمت لبنى تبعت جوزها يخبط عليك ويشوفك ويطمني لقيته بيكلمني يقولي أنك مش موجود برغم إن أنوار الشقة مفتوحه وأنا عارفة أنك لما بتنام بتقفل كل الأنوار فقلقت أكثر وقولتله يفتح الباب عليك ولما عمل كدا سمع صوت الميه في الحمام فضل ينده عليك ولما ما ردتش فتح لقاك واقع في البانيو مغمي عليك، طلب الإسعاف وجبتك هنا،

تذكرت في لحظات ما حدث ووجه الشبح عاد يطاردني ولكني لم أبوح بما جرى، طالت نظرتها المستفهمة نحوي لأجيب باقتضاب

- مش عارف إيه اللي حصل فجأة دخت ودماغي خبطت في الحيطة بعدها ما حسيتش بحاجة هو أنا هنا من أمتى ؟!

تأففت بضيق مرددة

- من امبارح بليل حسن فضل معاك للصبح وأنا جيت من ساعتين كدا...

نظرت من النافذة بجواري وأنا أسألها:

- الدكتور قال إيه ؟!



امسكت يدي تربت عليها برفق وعينيها اغرورقت بدموع حبيسة

- الدكتور قال أنه كان في تسريب في الغاز وأنت استنشقته واغمي عليك لولا حسن لحقك كنت هتموت من الخنقة،

قررت أن أجعلها تتجاوز هذا الجزء حتى لا تنفجر بالبكاء فضيقت عيني بخبث والابتسامة على وجهي

- ومالك بتقوليها كدا بضيق أنت مكنتيش عاوزاه يلحقني ولا إيه؟!

نفت سريعًا وبغضب وهي تضرب كفى بخفة

- مالك يا كامل أنت بتقول إيه! أنا مضايقه من اللي بيحصلك.. كل اللي بيحصلك مش طبيعي يا بشمهندس أنا واثقة مليون في الميه إن اللي حصل مالوش دعوه بالغاز لأن أنا وأنت عارفين أن السخان فيه أمان كامل ولو في أي تسريب هيفصل أوتوماتيك...

حاولت طمأنتها بقدر ما أمكنني معاتبا:

- ما تخلنيش أندم إني حكيتلك حاجة يا علا الموضوع بسيط أكيد حصل تسريب من

المواسير بتاع الغاز الطبيعي نفسها، إن شاء الله هرجع اتصل بالشركة يجيوا يشوفوها متقلقيش بس أنت...

رمقتني بعدم تصديق ليدخل الطبيب علينا يقطع حديثنا فحمدت الله على ذلك، بعد عدة ساعات تجنبت فيها الحديث مع علا عن ما حدث وخرجت من المشفى في حالة جيدة ولكن علا لم تقتنع بذلك فقررت أن تأخذني بسيارتها للبيت وتتأكد من دخولي غرفة نومي مع تهديد صريح بألا أغلق هاتفي أو اتجاهل مكالمة منها، فسألتها بمشاكسة:

- طيب ما تباتي معايا النهارده واهو تفضلي مطمنة



احمـــر وجههـــا خجـــلا فضـــحكت بصـــوت مرتفـــع فأتـــت لـــي مهرولـــة تلكزنـــي فـــي كتفـــي بغـــيظ ثـــم عـــادت للخلـــف سريعا هاربة لأردد وأنا ما زلت أضحك على خجلا:

- طيـــب ينفـــع أنـــام ولا أفضـــل قاعـــد عشـــان لمـــا تتصـــلي أرد عليك..

ضحكت رغمًا عنها ثم ضيقت عينيها قائلة:

- بـــلاش اســـتهبال.. عـــاوز تنـــام نـــام يـــلا وأنـــا همشـــي عشـــان بابـــا هيقتلنـــي لـــو أتـــأخرت عـــن كـــدا وهطمـــن عليـــك الصـــبح إن شـــاء الله وبـــلاش شـــغل اليـــومين دول

حركـــت رأســـي بالموافقـــة وودعتهـــا، ثـــم انطلقـــت للشـــرفة الخارجيـــة ووقفـــت بهـــا حتـــى تأكـــدت أنهـــا اســـتقلت ســـيارتها عائـــدة لمنزلهـــا ولـــم تصـــعد لصـــديقتها كعادتهـــا حـــين تـــأتي لبنايتي،

بـــدلت ثيـــابي ســـريعًا وهرعـــت لســـيارتي متوجهـــا نحـــو مختـــار زيـــن الراعـــي مصـــمما ألا أتركـــه هـــذه المـــرة حتـــى يصرف عني هؤلاء الأشباح،

وصـــلت لمكتبـــه لأجـــد عـــدة أنـــاس يجلســـون علـــى المقاعـــد الخارجيـــة وعلـــى المكتـــب الرئيســـي يجلـــس شـــاب بســـيط الهيئـــة يمســـك بيـــده قلـــم ويـــدون أشـــياء فـــي دفتـــر صـــغير أمامه،



دنــوت منــه لأســأله عــن مختــار فأجــابني بــأن لديــه جلســة روحية الأن ولن تنتهي قبل نصف ساعة،

جلســت فــي قاعــة الانتظــار بجــوار عــدد مــن النــاس لا أعلــم مــا علــتهم ولكنــي جلســت أتســاءل بجديــة منــذ متــى وهنــاك عيــادة خاصــة لشــخص يمــتهن هــذه المهنــة لــيس لهــا مســمى أو معــالم واضــحة، فالمتعــارف عليــه أن هــؤلاء يســمون «دجــالين» ويقــابلون زبــائنهم مــن الطبقــة البسيطة في خيمة قماشية على أطراف البلدة،

نظــرت لوجــوه الجالســين فتعجبــت أكثــر أنــاس طبيعيــون ينتمــون لطبقــة متوســطة ومرتفعــة نســبة لملابســهم الثمينــة نوعًا ما، ما الذي جاء بهم لهذا الرجل؟!

بعــد مــرور خمســة وأربعــون دقيقــة بــدأت اتملــل فــي مجلســي لأجــد الشــاب الجــالس علــى مقعــد الاســتقبال يقــف وبصوت مرتفع يقول:

- في . حد هنا منكم اسمه بشمهندس كامل؟!

اغمضــت عينــي للحظــات لأكظــم غيظــي مــن هــذا الرجــل الذي يتباهى بمعرفته اسمي كلما جئت إليه،

شــعرت أنهــا حركــة ملتويــه وخاصــة أننــي لــم أســجل أو أذكــره منــذ جئــت فمؤكــد عنــده كــاميرات فــي المكتــب ويــرى مــن خلالهــا الموجــودين فلمــا هــذا التبــاهي الغيــر مبــرر كــرر الشــاب مــا قالــه ثانيــة لأخطــو نحــوه معرفًــا عن نفسي ليقول لي:



- طب تعال معايا

ذهبت خلفه متأففا لأجده يدعوني لدخول غرفة جانبية غير التي دخلتها بالأمس نصحني أنا أظل هنا لدقائق ريثما يعود،

نظرت لأثاث الغرفة البسيط وجلست على أحد المقاعد لتعدوا الدقائق حتى وصلت للعشر زفرت بضيق وقررت أن أعود لمنزلي فأنا لن أنتظر أكثر من ذلك، سأحدد معه موعد أقابله به...

فتحت باب الغرفة لأجد فتاة آخر الرواق لم تتجاوز العشرين عامًا يسندها رجلين أحدهما تجاوز الخمسين والآخر شاب ،مثلها تتبعهم سيدة أربعينية تبكي بصمت الفتاة منهكة للغاية، ملابسها غير مرتبة ترتدي حجاب وضعتها كيفما اتفق عينياها ناعسة تغلقها لثواني وتفتحها هنيهة لتغلقها ثانية بسرعة كبيرة وكأنها تشعر بالدوار،

وقفت لحين مرورهم ولكن ما حدث معي لم أتوقعه!

وقفت الفتاة عن السير فوقف الرجلين بالتبعية ينتظرونها لأجدها تدفع أيديهم عنها وتخطو خطوتين واسعتين نحوي تحت نظرات أهلها المذعورة رمقتني بملامح جامدة جعلتني أعود للخلف برهبة وأنا أنظر حولي بريبة لأجدها تجاهد لفتح فمها بالقوة لتردد بلسان ثقيل:

- خد بالك من «هالك » اسمه على مسمى أوعي تفكر تواجهه أوعى...

أمسكها الرجلان من كلتا يديها لتعود للخلف معهم وهي مازالت تحدق بي بنظرات مرعبة حقا وتردد شكل مستمر

- أوعى.. أوعى تواجهه أوعى.. أوعى يا كامل

نطقها لاسمي جعلني أبتلع لساني وتجحظ عيناي لأجد السيدة التي كانت خلفهم تضع كفها على كتفي قائلة بصوت مرتعش باكي

- أحنا أسفين يا ابني على اللي حصل، بنتي أصلها ملبوسة وبتقول حاجات غريبة محدش بيفهمها أدعيلها ربنا يصرف عنها،

جففت دموعها بمنديل أخرجته من حقيبتها لترمي المتسخ في القمامة التي كانت بجوار الباب، ثم انطلقت خلف ابنتها وأنا لم استطيع حتى مواساتها بكلمة واحدة وعقلي يكاد يُجن مما حدث ، كيف لهذه الفتاة التي أراها للمرة الأولى في حياتي أن تعرف اسمي وتحذرني من شيء اجهله تماما،

أخرجني مساعد مختار من شرودي وهو يقول لي:

- أنا آسف أني اتأخرت عليك يا بشمهندس اتفضل دكتور مختار مستنيك...



تحركت نحو غرفة مكتبه التي دخلتها البارحة وأنا ما زلت تائها وعقلي يحاول تحليل ما حدث منذ قليل،

وقف مختار يصافحني بتحية وابتسامته لطيفه فحييته بمثلها وجلست لأسئلة:

- أنت تعرف البنت اللي كانت هنا دي؟!

ضم حاجبيه بتعجب قائلا:

- أنت تعرفها ؟!

حركت رأسي نفيًا لأقص عليه ما حدث، وجدته انتفض بمفاجأة ليُخرج دفتر قديم من درج مكتبه وقلم وباهتمام بالغ قال لي:

- قولي قالتلك إيه بالحرف وحاول ما تنساش أي كلمة،

اندهشت من اكتراثه المُبالغ فيه بالنسبة لي لمجرد كلمات ليس لها مدلول رددت عليه ما قالته لأجده يؤكد ثانية أن أخبره دون أن أنسى كلمة واحدة ،

لا يعرف هذا المختار أنني أمتلك ذاكرة حديدية تجعلني أتذكر أدق التفاصيل التي تمر علي وعلى وجه الأخص اي خلل يحدث معي لم أخبره من قبل أنني أحفظ كل أحلامي الذي يوهمني أنها حقيقية وأستطيع أن أصف له ملابس الأشخاص الذين رأيتهم هناك ،



وملامحهم وحركاتهم وسكناتهم وكل ما تفوهوا به أمامي بالتفصيل الممل أعدت عليه ما قالته الفتاة وأخبرته أنني لا أنسى شيئًا حدث لي أو مازال يحدث...

أغلق الدفتر ووضع القلم موضعه وهو يؤكد لي أن كلام هذه الفتاة ليس عبثًا ومقابلتي لها مدبرة وليست مصادفة كما أتخيل بالإضافة لأن تحذيرها مهم للغاية وسوف يفيدن كثيرًا، لم أعلق على حديثه فهو بالنسبة لي ثرثرة فارغة ليس لها هدف أو مغزى..

ليفاجئني بسؤاله:

- ها حصلك إيه امبارح بعد ما مشيت من عندي ؟!

اندهشت لمعرفته المسبقة ما جئت لأقصه عليه وانتابني شكوك أن له يد خفية فيما حدث معي كي أعود إليه مرة أخرى، أخرجني من صمتي وهو يُقرب وجهه لي ويهمس:

- ما قولتلك أنا مخاوي

أجبته بنفس الهمس

- والجن اللي أنت مخاويه بيجي معايا أحلامي ؟

اعتدل في مجلسه ولاحت ابتسامة خفيفة على وجهه وهو يردد

- يا بشمهندس هما بيعيشوا غير في أحلامنا



ضيقت عيني متسائلًا:

- يبقى هو حكالك اللي حصل بالتفصيل، بتسألني أنا ليه ؟!

نظر لي بجدية قائلا:

- هو فعلا قالي اللي أنت شوفته هناك بس ما قليش اللي حصلك، اللي حصلك دا ما حدش يعرفه غيرك...

تأففت بضيق وبيأس تام أخبرته

- أنا ما بقتش عارف حاجة

وبعد عدة لحظات قضاها مُختار في التفكير العميق قال لي:

- أنا قررت قرار متأكد أني هندم عليه بس مضطر أجازف عشان أقدر أساعدك

ضممت حاجبي منتظرًا قراره المصيري حتى أكمل

- أنا وأنت هنروح بكرة قرية الزوارعة

انتفضت بفزع فأنا أحاول بكل ما أوتيت من قوة ألا أعود إلى هذا المكان وكل ما أعانيه الآن بسبب زيارة واحدة فماذا سيحدث لي إن كررتها! رفضت رفضًا قاطعا وأنا أخبره

- روح لوحدك أنا مش هقرب للقرية دي ثاني



وقبــل أن يحــاول إقنــاعي خرجــت مــن غرفتــه ومنهــا لســيارتي متوجهًــا لشــقتي عازمًــا أمــري أن أتجاهــل كــل مــا حــدث ومــا ســيحدث وســيكون كــل شــيء علــى مــا يرام...

هكــذا اقنعــت نفســي وارتــاح قلبــي وخلــدت إلــى النــوم ، بعــد قليــل ســمعت طرقــات علــى بــاب الشــقة الخــارجي تجاهلتــه وحاولــت أن أعــود لنــومي الــذي بدأتــه منعمــا دون كــوابيس هــذه المــرة كــان جــرس البــاب العــالي الــذي جعلنــي أقــوم مــن فراشــي يائســا فــي اقتنــاص بضــع ســاعات أســتطيع بهــا النــوم بشــكل طبيعــي فتحــت بــاب الشقة لتجحظ عيناي من المفاجأة!

الفتــاة التــي رأيتهــا عنــد مختــار تقــف بمفردهــا بعينيهــا الزائغــة المخيفــة أمــام بــابي تلعثمــت وأنــا لا أجــد مــا يسعفني من الكلمات حتى وجدت الجملة المعتادة:

- حضرتك محتاجة حاجة

اقشــعر جســدي عنــدما ابتســمت ابتســامة مرعبــة بوجــه أكاد أقسم أنه رجولي،

دفعتنــي بغتــة بــداخل الشــقة وأغلقــت بابهــا لاصــطدم أنــا فــي الحــائط وأنــا مــذهول ممــا فعلــت، وقبــل أن أفــتح فمــي وجدتها تقترب مني وهي : تقول بصوت خافت



- أنــت الوحيــد اللـــي شــوفتهم وأنـــت الوحيــد اللـــي تقــدر تنقذهم أزاي هتتخلى كدا.

ثم علا صوتها وهي تلكزني في كتفي

- هي ما قدرتش تسيبك لما خدوك هناك وأنقذتك

ابتلعـــت ريقـــي بصـــعوبة وأنـــا ابتعـــد عنهـــا قـــائلًا بانفعـــال واضح

- أنـــا مـــا طلبـــتش مـــن حـــد ينقـــذني، وبعـــدين انقـــذتني مـــن إيـــــه دا كـــــان مجـــــرد كـــــابوس أنـــــا مـــــاليش دعـــــوة بالخرفــــات أنــــا إنســــان طبيعــــي وعــــاوز أفضــــل طبيعي..

عيناهـــا توهجـــت بحمـــرة جعلتنـــي ارتعـــد للحظـــات لتعـــود عـــدة خطـــوات للخلـــف ناحيـــة بـــاب الشـــقة الرئيســـي وهـــي تقول لي:

- أنـــت دخلـــت لعنـــة مـــش هتعـــرف تخـــرج منهـــا ولا عمـــرك هتبقـــى طبيعـــي بعـــد النهـــارده يـــا تحـــاول تفهـــم وتبقـــى راجـــل مـــرة فـــي حياتـــك يـــا تســـتخبى تحـــت الســـرير زي عادتـــك ونهايـــة أمثالـــك أكيـــد معروفـــة ...

تســـمرت قـــدماي وأنـــا أنظـــر لهـــا وقـــد انطلـــق قلبـــي يعـــدوا كخيـــل عربـــي أصـــيل وأنـــا اســـتمع لكلماتهـــا التـــي تســـقط علـــى أذنـــاي مثـــل شـــهاب ثاقـــب كيـــف علمـــت بركضـــي واختبـــائي تحـــت الفـــراش حـــين اســـتمع إلـــى مشـــاجرة بـــين



والـــداي أو حـــين أشـــعر بـــالخوف مـــن شـــيء حتـــى مـــا كنـــت أتـــوارى فـــي خزانـــة ملابســـي حتـــى اســـمع صـــوت أمـــي وهـــي تبحـــث عنـــي اركـــض نحوهـــا واســـتتر بـــين ذراعيهـــا لتأخـــذني بجوارهـــا كـــي أســـتطيع النـــوم لـــم أشـــعر بخروجهـــا مـــن منزلـــي لكنـــي شـــعرت بإحســـاس مقيـــت لـــم أختبـــره مـــن قبـــل، لتطـــاردني الجملـــة التـــي طالمـــا ألقاهـــا والـــدي علـــى مســـامعي وقـــد حاولـــت أن أجعلهـــا طـــي النســـيان ولكنهـــا أبـــت أن تنهـــال علـــى عقلـــي «أنـــت جبـــان وعمـــرك مـــا هتبقى راجل شجاع «

جلســـت علـــى المقعـــد وهنـــاك صـــراع بـــداخلي يزيـــد مـــن تشـــتتي، بحثـــت عـــن هـــاتفي بعينـــي كـــي أحـــدث عـــلا فهـــي ستســـتطيع أن تـــدلني علـــى الطريـــق الصـــحيح أو حتـــى تقـــدني بـــبعض القـــوة والثقـــة التـــي هـــدمتها هـــذه الفتـــاة التـــي لمـــا أراهـــا ســـوى مـــرة واحـــدة ولا أعـــرف كيـــف عرفـــت عنـــواني وجـــاءتني كـــي تخبرنـــي بصـــفة أحـــاول منـــذ ســـنوات دحضـــها عنـــي تـــذكرت أننـــي تركـــت الهـــاتف أعلـــى المنضـــدة التـــي بجـــوار ســـريري خطـــوت نحـــوه بخطـــوات مُثقلـــة بجـــرح فـــي عُمـــق رجـــولتي لأجـــد تحتـــه ورقـــة صـــفراء مطويـــة تجعـــدت ملامحـــي بتعجـــب وأنـــا أتساءل من وضعها هنا!

التقطهـــا بـــين أصـــابعي لأفتحهـــا بحـــذر لأجـــدها بهـــا رســـالة بخـــط ملتـــوي وغيـــر متناســـق وكأنـــه كتـــب بواســـطة طفـــل صـــغير دققـــت النظـــر لأقـــرأ مـــا كتـــب "أنـــا لا أعلـــم كيـــف ستصـــلك رســـالتي ولكننـــي ســـأحاول وأتمنـــى أن تصـــلك

سـريعا، لأنـه يجـب أن تعلـم أن قـادة القريـة قـد علمـوا بمجيئـك وإنقـاذي لـك؛ وأنـا حاليـا مسـجونة فـي غرفـة مظلمـة مـن إحـدى الغـرف التـي رأيتهـا حـين كنـت فـي المبنـى، وقـد تسـلل لـي ابـن أختـي ليعطينـي ورقـة وقلـم كـي أحـذرك مـنهم، أنـا لا أبـالي بحبسـي فـي هـذا المكـان ولكـن كـل مـا يهمنـي الأن أن تظـل أنـت بخيـر واعتـذر منـك بشـدة علـى مـا أقحمتـك بـه فأنـا لـم أكـن أعلـم أنـك سـتتأذى هكـذا، كـل مـا أردتـه أن أخـرج مـن هـذا الجحـيم أنـا وأخـي وابـن أختـي الـذي لـم يـر أمـه منـذ سـنوات طـوال ونحـن نتعـذب هنـا حتـى المـوت لـم نسـتطع العثـور علـى طريـق يـدلنا عليـه إلـى الأن ادعـوا الله لنـا يـا كامـل أن يرحمنـا مـن هـذا التنكيـل وأن نجـد طريقـة تحـرر بهـا أروحنـا كـي تـذهب إليـه، لقـد سـررت بمعرفتـك وأشـكرك بشـدة علـى أنـك جعلتنـي أشـعر بالأمـل فـي الخـلاص حتـى ولـو أيامًـا معـدودة أتمنـى أن أراك فـي الجنـة بخيـر..

فاتن

طويـت الورقـة كمـا كانـت وجلسـت علـى الفـراش أراجـع كـل الإشـارات والرسـائل التـي وصـلتني منـذ أن ذهبـت لهـذه القريـة الملعونـة لأربـط بعضـها بـبعض حتـى أدركـت أن هنـاك غايـة مـن هـذه الرسـائل وأننـي مجـرد قطعـة يحركهـا القـدر حيثمـا أراد كـي نصـل لنتيجـة حتميـة، فمـن المحتمـل أن أكـون أنـا خلاصـهم مـن هـذه القريـة بـل ومـن المؤكـد أن دوري لـم يبـدأ بعـد، فأنـا أقـاوم رغبتـي معرفـة لمـن تنتمـي هـذه العائلـة ومـن الـذي

حبسهم في القرية بل وقرر أنهم يجب أن يعذبوا بهذه الطريقة البشعة!

ومن هؤلاء الشباب الذين رأيتهم في المخبأ،

مصيرهم بعد غارة الطائرات التي أحرقت القرية بأكملها، كل هذه الأسئلة ظلت تطارني رغمًا عني لأنهض من مكاني مرتديًا ثيابي حتي سمعت أذان الفجر خرجت من شقتي وصليت الفجر في المسجد وأنا أدعوا الله أن يدلني على الصواب، وعزمت أمري أن أذهب مع مختار للقرية علني أجد بعض الإجابات على أسئلتي وأثبت لنفسي أولا أنني لم أكن يوما رجلا يتسم بالجبن أنا فقط لا أريد أن أقحم نفسي في أمور غيبية كهذه ولكن من أقحمني يريد شيئًا ما ومؤكد سأعرفه في الأيام القادمة فأنا لا أؤمن أبدًا بالمصادفات...

صعدت لسيارتي وهاتفت مختار الذي وجدته يضحك على الجانب الأخر وهو يقول لي دون أن يستمع حرفًا مني:

- أنا بلبس وهقابلك على الطريق السريع

أنهيت المحادثة بكلمة واحدة



- مستنيك..

***

انطلقـت للمكـان المتفـق عليـه وقـد اعتـدت علـى أسـلوب مختـار الغريـب هـذا ولـم أعـد أتسـاءل كيـف يعلـم انني وافقـت علـى مُصـاحبته للقريـة أو إننـي أهاتفـه لأخبـره بهذا،

ففـي النهايـة هـو رجُـل غريـب الأطـوار يسـيطر علـى مخلوقـات مـن الجـن يخبرونـه كـل مـا يحـدث معـي، ولكـن مـا جعلنـي أتسـاءل لمـا لا يسـتغل هـذه الكائنـات فـي تحريـر الفتـاة وعائلتهـا وصـلت للمكـان المحـدد وانتظرتـه حتى أتي في دقائق قليلة،

رفـع يـده بتحيـة سـريعًا وأشـار لـي أن اتبعـه قـدت سيارتي خلفه حتى وصلنا للوحة الخشبية،

فوجـدت مختـار يبطـئ السـير بقربهـا فأبطئـت خلفـه وأنـا أنظـر نحوهـا بتـدقيق لأجـدها تهتـز وتلـف حـول نفسـها وكـأن أحـدهم دفعهـا بيـده أسـرع مختـار وأسـرعت خلفـه حتـى توقـف بسـيارته أمـام المبنـى المكتـوب عليـه « **الحجر الصحي"**



توقفت بجواره ونزلت من السيارة وعيني لم تفارق المبني، تقدمت خطوتين للأمام وأنا أدقق النظر بداخله بينما دقات قلبي تتسارع وتتعالى بقوة وأنا أرى المكان الذي أخرجتني منه فاتن في حلمي!

لم أشعر بقدمي التي تتقدم حتى أوقفني مختار وهو يجرني من يدي للخلف قائلا:

- أنت رايح فين يا كامل

أفقت من شرودي وأنا لا أعي ما الذي جعلني أتقدم نحو هذا المبنى كالمسحور

تركني مختار فتبعته بعيني حتى رأيته يفتح حقيبة السيارة الخلفية ويُخرج منها عدة أشياء جعلتي أضيق عيني وأنا أتفحص أدواته الغريبة التي هي عبارة عن حبل سميك وطويل ظل يثنيه بضعة دقائق تم أخرج قلم حبر أسود وإناء بلاستيكي وبضعة انابيب ملونة جلس يثني ركبتيه على الأرض أمام المبنى مباشرة أخرج الإناء ووضع به الأنابيب الملونة باللونين الأحمر والأسود، ليقوم برسم دائرة كبيرة بواسطة ريشة كبيرة وظل يملأ الخط الدائري بالألوان حتى انتهى من رسم الدائرة كاملة ثم أخذ القلم الأسود وظل يكتب بداخل الدائرة بضعة أحرف لا أعرف لأي لغة تنتمي بدأ يردد. بهمس كلمات متكررة وهو يمرر





القلم الأسود على الدائرة والحروف مرارا ، لا أعرف لما اصطحبني معه وهو يفعل هذه الخرفات التي لا اؤمن بها أبدًا،

شعرت بالملل وأنا أنظر لساعتي التي تشير إلى قربها الحادية عشر ثم وجهت نظري نحو مختار المنهك في ترديد الكلمات حتى تجاوز النصف ساعة وهو على هذا الحال

التفت نحو المبني الذي حين أواجهه أشعر بقبضة تلكمني في صدري تضييق علي أنفاسي سمعت صوت طقطقة من خلفي فاستدرت كي أرى مختار الذي وجدته يشير لي نحو موضع أمامه أن أجلس به جلست على ركبتي فهز رأسه نفيًا كي أجلس متربع رفعت زاوية فمي بتعجب وجلست كما يريد لوح لي بالسبابة والوسطى ليرشدني نحو عينيه كي أدقق النظر بهما،

تأففت بضجر وأنا أنظر لعينيه اللتين تطلعان نحوي بغرابة وتركيز شديد جعلني أبادله نفس التركيز وهو مازال يردد نفس الكلمات ولكن صوته أصبح مرتفعا قليلًا،

شعرت بدوار خفيف أرجعت سببه للشمس الحارقة التي نجلس تحتها،



ليتوقف عقلي عن العمل وأنا أتأمل حدقتي مختار اللذين توقفا تماما وهما يحدجان بي شعرت أن عيني تنغلقان رغمًا عني وفجأة سمعت فرقعة إصبع ومن بعدها لم أشعر بشيء آخر..

لا أدري كم من وقت مر وأنا على هذا الحال ولكني بدأت أشعر بالهواء من حولي ففتحت عيني لأستقيم بجسدي الذي أشعر كأنه يُحلق في الهواء من شدة خفته لأقف مدهوشاً مما أرى فركت عيني بشدة كي أتأكد مما أراه لأفتحهما ثانية على ذات المنظر لأبدا في السؤال بصوت مرتفع قليلا

- أنا فين

دورت حول نفسي ببطء وأنا أتأمل هذا العالم الغريب، فهناك فتاة تجلس أمام بحيرة صافية تداعب الماء بقدميها وتبتسم بخفة، وهناك آخر يقف أمام منزل خشبي بسيط ودافئ يضع كلتا يديه في جيب بنطاله ويتأمل غروب الشمس، بينما تحمل أخرى طفل رضيع وتجلس به وسط الزهور وهي تشير على ضوء القمر وتقبله بشوق على كرسي وعلى الطرف الآخر يجلس رجل ستيني يتأمل قصر كبير ومذهل أمامه وهو يضع كلتا يديه تحت ذقنه كانه يُفكر في معضلة ما! تقدمت لأذهب إليه عله يُخبرني ما هذا المكان ولما أنا هنا؟ وأين مختار من المحتمل أن يكون مر عليه، دنوت منه ليرتعش جسدي عندما قبض أحدهم على



ذراعـــــي مـــــن الخلــــف وهــــو يقــــول لــــــي:
-رايـــــــــــــــــــح فــــــــــــــــــــــين؟!
التفـــت نحـــوه لأجـــده رجـــل طـــاعن فـــي الســـن يســـألني بتعجـــب
-إيــه اللـــي جابـــك هنـــا يـــا ابنـــي؟ !وفـــين العـــالم بتاعـــك ! للحظـــــات لـــــم أع مـــــا يقولـــــه لأتلعـــــثم وأنـــــا أجيـــــب
-ااأنـــا مـــش عـــارف أنـــا جيـــت هنـــا أزاي أنـــا كنـــت مـــع مختـــار فـــي القريـــة و أوقفنـــي وهـــو يضـــم حاجبيـــه بخـــوف بــــــــــــــــان علــــــــــــــــى وجهــــــــــــــــــــــه
-قرية إيه ؟!
أكملت بتلكوء
- الزوارعة
زاغ نظـــر الرجـــل ويـــده قبضـــت علـــى ذراعـــي بقـــوة وهـــو يهمس:
- تعالى ورايا ما ينفعش نتكلم هنا
مشـــيت خلفـــه وأنـــا أشـــاهد العـــالم المـــدهش الـــذي دخلتـــه حتـــى وصـــلنا لشـــاطئ رملـــي مـــبهج ومـــريح للـــنفس بشـــكل لا يصـــدق كـــان هنـــاك خيمـــة بيضـــاء أمامـــه دخلهـــا الرجـــل وهـــو يشـــير لـــي أن اتبعـــه ســـريعًا لـــبطء خطـــواتي وأنـــا أتأمـــل هـــذا المكـــان دخلـــت الخيمـــة ووجهـــي مُبتســـم لأجلـــس على المقعد المريح أمامه وأنا اتسأل هو احنا فين ؟!
اجابني وهو يُحدق في وجهي



المكان دا اسمه « الأعراف « وأحنا هنا تحديدًا في خيالي أنا أو بمعني أوضح في المكان اللي أحب أكون قاعد فيه دلوقتي جعدت حاجبي وضاقت عيني بغرابة لما سمعته فقد فاق ما قاله استيعابي ! لأقر بذلك قائلا:

- مش فاهم حاجة !

اعتدل في مجلسه قائلًا:

- إيه اللي وداك القرية؟!

شعرت بدوار شديد جعلني أحاوط إصبعي برأسي وأنا أجيبه

- أنا مهندس معماري وروحت هناك أعاين القرية عشان مطلوب مننا نعمل القرية دى مساكن تابعه لوزارة الإسكان

بعدما دلكت رأسي بقوة توقف الدوران قليلا ليداهمني بسؤال آخر وهو يدقق النظر لحدقتي:

- وشوفت إيه خلاك تيجي هنا؟!

تزاحمت الأسئلة الكثيرة برأسي لأجيبه بتلقائية:

- طفل بيجري على القضبان ومن بعدها وأنا مش عارف أعيش حياتي،

ظل يتفحص وجهي وجسدي وهو يضع يده على ذراعي يحركه قائلا:

- وجيت هنا أزاي؟!

رفعـت كتفـي بغضـب واضـح وأنـا انتـزع يـدي مـن بـين يده مرتدًا للخلف وأنا ازعق به

- قولتلـك مـا اعـرفش أنـا روحـت القريـة مـع الزفـت مختار وفجأة لقيت نفسي هنا

وقف قبالتي وكأنه لا يهتم لغضبي قائلًا:

- مين مختار؟!

زفـرت بضـيق وأنـا التفـت حـولي أبحـث بعينـي مخـرج لهذا العالم العجيب مجيبا باستهزاء

- طبيب روحاني

ثم سألته بضجر:

- ما تعرفش أخرج من هنا أزاي؟!

ضـحك بسـخرية وهـو يجلـس متمـددًا علـى كرسـيه و براحة شديدة قال لي:

- لما مختار يصحيك يا كروديا

لـم أسـتطع تصـديق مـا قالـه ومـا هـذه المسـبة التـي انقرضـت منـذ سـنوات ضـحكت رغمًـا عنـي وأنـا أقـول له:

- أنت عندك كام سنة يا حاج

وقف ليجيب وهو مازال يبتسم

- قد عمرك أربع مرات يا كروديا



ضـــربني بخفـــة علـــى رأســـي مـــن الخلـــف ثـــم خطـــى خـــارج الخيمـــــة ليقـــــف أمـــــام البحـــــر الأزرق الصـــــافي مباشـــــرة خرجت خلفه اتبعه لأقف بجواره وأنا أسأله بتوسل:

- أرجوك فهمني أنا هنا فين؟ ويصحيني أزاي؟!

تنهـــد وهـــو يفتـــرش الرمـــال، ثـــم أشـــار لـــي أن أجلـــس بجواره

- اقعد وأنا هحاول أفهمك

جلست متربعًا أمامه منصتا بكل حواسي لما يقوله:

- أنـــت هنـــا زي مـــا قولتلـــك فـــي عـــالم مـــن خيـــالي أنـــا وكـــل النـــاس اللـــي شـــوفتهم عايشـــين فـــي عـــوالم مـــن خيالهم

وقبل أن استفهم أكمل هو:

- احنـــا مـــين احنـــا نـــاس اللـــي مننـــا فـــي غيبوبـــة واللـــي مننـــا نـــايم وبـــيحلم وهـــو دا العـــالم اللـــي بنروحـــه فـــي كلا الحالتين لحد ما نصحى أو نموت

كـــدت أن افـــتح فمـــي وأنـــا منـــدهش ممـــا يقولـــه، فرفـــع كفـــه أمامي كي لا أتحدث حتى ينتهي

- أنـــا مـــثلًا فـــي غيبوبـــة عنـــدي شـــوية أورام فـــي المـــخ بتخلينـــي أفقـــد الـــوعي بشـــكل متكـــرر ولمـــدة طويلـــة بتوصـــل لشـــهر وعلـــى طـــول بـــاجي هنـــا أمـــا أنـــت بقـــى نـــايم بفعـــل صـــاحبك الـــدكتور الروحـــاني اللـــي بعتـــك



هنا عن طريق التنويم المغناطيسي ولما يقرر يصحيك هترجع للعالم بتاعك تاني

تذكرت وجه مُختار وكلماته الذي ظل يرددها حتى فقدت الوعي فأيقنت أنه على صواب سألته بحنق وأنا متعجب من فعلته

- طب وهو أزاي يعمل معايا كدا من غير ما يفهمني!

ذم الرجل شفتيه وهو يهز رأسه فهو لا يملك إجابة على سؤال كهذا،

عاد الدوار يداهمني بقوة عن المرة الفائتة، جعلني الرجل استلقي سريعًا على الأرض وهو يقول لي:

- شكله بيحاول يصحيك وأنت مش عاوز

نزعت يدي من أعلى عيني وأنا أحاول السيطرة على هذا الدوار قائلًا:

- أنا عاوز أعرف أيه حكاية القرية قبل ما أرجع أرجوك لو عارف حاجة قولي

نظر لي بتدقيق وهو يقول:

- هحاول أقولك بسرعة عشان أنت كدا هتضر لو قعدت أكثر من كدا

وقبل أنا أتحدث أوقفني

- وياريت ما توقفنيش ولا تسأل اسمع وبس...



اعتدلت ليقص لي بعض ما يعرفه في مجموعة من القرية دي قرر أنه ما يتنقلش للبرزخ ثم ابتسم نحوي وهو يقول:

- لو مش عارف إيه البرزخ دا ممكن تسأل أي حد من الأموات

بادلته الابتسامة ليكمل:

وسبب وجودهم هنا معروف لكل اللي بيجي كذا مرة وهو الانتقام،

ثم أشار لي على منزل خشبي شكله يقبض القلب في الضفة المقابلة للبحر يحيطه الظلام من كل الاتجاهات

- البيت المرعب اللي أنت شايفه دا الممر الوحيد اللي هيوديك القرية اللي عايشين فيها هنا وهناك هتلاقي العيلة اللي كل واحد هنا عارف حكاية شكل عنهم،

ليقترب من أذني هامسا:

- أنا بس اللي عارف الحكاية الحقيقية

ثم اعتدل وهو يضع سبابته على شفتيه مصدرًا صوت

- ششششش دا سر

زاد الدوار بشدة لتصم أذاني وتغفل عيني لأسمع فرقة الإصبع التي على إثرها عدت لأفتح عيني وأشعر بجسدي المدد على الأرض لأجد مختار فوق رأسي يصرخ بي بصوت اخترق طبلة أذني



- اصحى يا كامل الشمس تغرب

حاولـــت أن أدرك مـــا يحـــدث حـــولي دون جـــدوى ليجرنـــي مختـــار نحـــو سـيارته وهـــو يفـــتح بابهـــا بارتعـــاش واضـــح علـــى يديـــه ويـــدفعني بالـــداخل ليـــركض بســـرعة نحـــو بـــاب السـائق مـــديرًا موتـــور الســـيارة واضـــعًا قدمـــه علـــى الســـرعة ليضـــغط بكـــل قوتـــه حتـــى ترنحـــت علـــى مقعـــدي وهـــو يســـتدير للخـــروج مـــن القريـــة بالســـرعة القصـــوى توقـــف جســـدي عـــن التـــرنح لألمـــح بعينـــي أنـــاس كثيـــرة بوجـــوه حانقـــة بـــأعين حمـــراء وملامـــح غاضـــبة جعلـــت إطلالـــتهم ســـوداء، متراصـــيين علـــى جـــانبي القضـــيب بمنظـــر جعلنـــي ارتجـــف مـــن الرعـــب حتـــى تخطـــاهم مختـــار وهـــو يلـــف بالســـيارة حتـــى أصـــدرت صـــوتًا مرتفعًـــا للغايـــة لتميـــل علـــى جانبهـــا مـــن شـــدة الســـرعة ليـــركض بهـــا مُختـــار نحـــو الطريـــق الســـريع بعيـــدًا عـــن القريـــة بعـــدة أمتار،

اقتربنـــا مـــن اســـتراحة صـــغيرة علـــى جـــانبي فـــأمرت مختار بصوت مرتفع

- أقف على جنب

اخـــتض مـــن صـــوتي فتوقـــف علـــى الفـــور وهـــو يتســـأل بتعجب

- في إيه اللي حصل



التفت نحوه والغضب يتصاعد نحو رأسي بطيش جعلني أصرخ به

- أنت أزاي تعمل كدا من غير ما تقولي ولا حتى تفهمني أنت اتجننت

ملامحه كانت هادئة وهو ينظر نحوي بينما أنا ساخط عليه وعلى فعلته حتى أنني أشعر بوجهي !

يشتعل نارًا ليزداد اشتعالي مع كلماته :

- لو كنت قولتلك ما كنتش هتوافق واحنا معندناش وقت للتفكير والتردد

وعلى الفوز فتحت باب السيارة بجواري وخرجت منها وأنا أدفع الباب بقوة حتى كاد أن يتحطم تبعني مختار لأكمل صراخي

- أنا مش تحت أمرك يا بني آدم أنت ومن النهارده مش عاوز أعرفك تاني،

اشرت لسيارة أجرة فوقفت لأركب في الخلف وأنا أنظر نحو مختار الذي ينظر لي بعتاب فحولت وجهي لاتجاه آخر حتى انطلق السائق

حاول مختار الاتصال بي خلال رحلة عودتي للمنزل فلم أجبه وقمت بحظر رقمه حتى لا يستطيع الوصول لي



وصــــلت لشــقتي منهــك وأتـــرنح كمخمـــور حتـــى وصــــلت لفراشـــي تركــت جســدي يرتمــي أعــلاه وأنـــا أتــذكر كــل مــا حــدث لــي هــذا المكــان وأعيــد كــل مــا شــاهدته حتــى توقفــت عنـــد الســـيدة التـــي كانـــت تحضـــن رضـــيعها وتـــذكرت مـــا ســمعته مــن الفتـــاة التـــي كانـــت تبكـــي فـــي المشـــفى قبـــل اســـتيقاظي بلحظـــات لا أعـــرف مـــا الـــذي جعلنـــي أربـــط حالـــة أختهـــا الحامـــل بهـــذه الســـيدة اعتـــدلت وأنـــا اخـــرج هـــاتفي مـــن جيـــب بنطـــالي وعلـــى الفـــور اتصـــلت بالمشـــفى أجابتني أحدهم لأسألها بتردد:

- كنت عاوز استفسر عن حالة جاتلكم من يومين

أجابتني الفتاة بكل تفهم:

- أتفضل يا افندم أنا تحت أمرك

حاولـــت اســـتجماع ســـؤالي الغريـــب علـــى عقلـــي لأجيبهـــا بقليـــل مـــن المنطقيـــة هـــي كانـــت ســـيدة حامـــل ودخلـــت فـــي غيبوبة مش عارف سببها كان إيه سألت الفتاة بعملية

- تقـدر تقـولي يـا أفنـدم اسـم الحالـة أو رقـم غرفتهـا أو حتى الطبيب المتابع

وعلـــى الفـــور أجبتهـــا اللـــي اعرفـــه أنـــه أســـمه دكتـــور عمـــرو حاولـــت أن تتلقـــى منـــي أي معلومـــات تســـاعدها للبحـــث فلـــم تجـــد ســـوى اســـم الطبيـــب الأول طلبـــت منـــي الانتظـــار قلـــيلا لأســـتمع أنـــا لصـــوت موســـيقى رتيبـــة جعلتنـــي أســـأل نفسي ما الذي أبحث عنه تحديدًا!

وما علاقتي بالسيدة الحامل أو التي تحتضن طفلها في « الأعراف» ولكني الآونة الأخيرة لم أفعل شيئا منطقيًا كل فعل أصبحت أقدم عليه تجاوز المنطق وكأنني أدور في مدار مخصص لأمثالي وأفعل كل ما يجب علي فعله الالتفات للمنطق أو العقل اللذين طالما تشبثت بهما أخرجتني فتاة استقبال المكالمات من شرودي وهي تقول لي:

- أنا آسفة جدا يا فندم على التأخير، الحالة اللي حضرتك سألت عنها فعلا موجودة هنا في غرفة ٨٠٩ وللأسف لسه في غيبوبة

نطق لساني دون وعي:

- طب ممكن تقوليلي الزيارة أمتى؟!

أجابتني ببساطة:

- من ٤ مساءً ل ١٠ مساءً يا فندم

شكرتها على مساعدتها وسعة صدرها ونظرت لساعتي التي مازالت السابعة خرجت من غرفتي لدورة المياه وأنا أنزع ملابسي بإهمال لأقف تحت شلال المياه الباردة وأنا مغمض العينين أفكر فيما أريد فعله وهو أن أتأكد أن هذه السيدة هي ذاتها التي رأيتها في الأعراف، لا أدري ما الذي أريد أن اثبته لنفسي من خلال رؤيتها ولكني مؤكد سأعرف أنه لا يوجد شيء يحدث في هذه الفترة من حياتي مصادفة، فكل ما رأيته له ترتيب وغاية و قطعًا ستكون هذه



السـيدة بدايـة الخـيط خرجـت مـن دورة المياه أشـعر بـبعض التحسـن الطفيـف ارتـديت ملابسـي وخرجـت مـن الشـقة قاصـدًا مطعـم اعتـدت عليـه للأكـلات السـريعة طلبـت بيتـزا صـغيرة وجلسـت آكلهـا علـى عجـل لأحتسـي بعـدها فنجانًـا مـن القهـوة المركـزة، وأنـا أنتظـر سـيارة الأجـرة التـي طلبتهـا كـي توصـلني للمشـفى كلمـا تـذكرت سـيارتي أصـابني الضـيق الشـديد والحيـرة فـي نفـس الوقت عمن يستطيع أن يجلبها لي من هناك،

أبلغنـي السـائق أنـه ينتظرنـي أمـام المطعـم، أنهيـت فنجـان قهـوتي سـريعًا وانطلقـت نحـوه لأصـعد فـي المقعـد الخلفـي فـور اسـتلام رسـالة نصـية أخـرى جلسـت وأغلقـت البـاب ليبـدأ السـائق رحلتـه فيمـا أخرجـت أنـا هـاتفي لأجـدها عـلا برسـالة طويلـة وقاسـية مرفقـة بصـورة دبلتهـا الملاقـاة علـى المنضـدة، لتتبعهـا رسـالة أخـرى قصـيرة كـل شـيء قسـمة ونصـيب ونصـيبنا لحـد كدا، وأرجوك يا كامل ما تحاولش تتصل بيا تاني

شـعرت بقصـة فـي حلقـي يتبعهـا ألـم خفـي يـزداد فـي صـدري توهجـا بينمـا تتـابع الأسـئلة الخانقـة علـى عقلـي تتـابع نقضـني أكثـر فـأكثر حتـى تـوغر صـدري بحـزن بالغ

والسـؤال الأهـم والـذي ظـل يتـردد صـداه فـي عقلـي مـن زمان

- ليه ! أنا عملت ايه ؟!



استندت بكفي على المقعد لأشعر بشيء خشن تحت يدي، أمسكت به وأنا أنظر إليه لأجدها ورقة ظننتها وقعت من أحد الركاب السابقين وقبل أنا أضعها بجواري غلبني فضولي كي افتحها لأعض شفتي بغيظ حتى أدميتها وأنا أرى ما كتب

- لو فاكر أنك هتهرب مني يا كامل يبقى لسه ما عرفتش مختار الراعي كويس أنت ما تعرفش مخاطر اللي حصل لازم نتقابل عشان نكمل اللي بدأناه وأوعى تفتكر أن فسخ الخطوبة دي مجرد بداية للعنة حقيقة بالعكس دا هجر حبيبتك ليك مجرد تحذير بسيط منهم اللي جي مش هتقدر تتحمله صدقني

مزقت الورقة بكل حدة ثم قذفتها النافذة بغيظ شديد ليتوقف السائق أمام المشفى قائلا:

- أتفضل يا بشمهندس مستشفى

دفعت له الأجرة ونزلت من السيارة أخطو بتهجم مقطب جبهتي حتى وصلت للاستقبال فأخبرتهم برقم الغرفة ليدلني أحدهم على المصعد بعدما وصف لي الطريق إليها،

اصطدمت بي سيدة تركض بفزع وهي تسأل الفتاة خلف الزجاج بصوت عال:

- دكتور عمرو فين لو سمحت



وقفت أمام المصعد لأجدها تقف بجواري حتى توقف أمامنا، دلفت للداخل وهي بعدي لتقف على مسافة مني بوجه مذعور وجسد مهتز ومتوتر توقف المصعد في الدور الخامس لتخرج هي قبلي مسرعة حتى وجدت أحد الممرضات لتوقفها قائلة:

- أنا والدي السيد حطاب

أومت الممرضة برأسها فأكملت السيدة باضطراب

- الدكتور عمرو كلمني وقالي أنه عاوز يفصل عنه الأجهزة،

حاولت الممرضة أن تتحدث فأوقفتها بصوت مرتفع وهي تحذرها بإصبعها:

- محدش يفكر حتى يعمل كدا وإلا هوديكم كلكم في داهية

تركتهم وأكملت المسير وأنا أحاول التركيز عما جئت من أجله،

اتخذت الطريق اليميني كما أخبرتني الفتاة لأحد بابها في منتصف الرواق مدون عليه الرقم التي اخبرتني به الممرضة ٨٠٩



بدأت تتعالى نبضات قلبي وأنا أضع يدي على المقبض لأديره ببطيء، سمعت صوت مألوف لي يقول:

- مين؟

فتحت الباب ووقفت مكاني لأجد أختها تقابلني وجهي مسرعة قبل أن أدخل الغرفة:

- خير يا فندم في حاجة؟!

تلعثمت قليلا قبل أن أخبرها:

- أنا كنت مريض في الدور اللي فوق وسمعتك وأنتِ بتكلمي د. عمرو عن أختك

ملامحها المتعجبة من حديثي جعلتني أسرع

- طلبي يبان غريب بس صدقيني أنا ممكن أساعدها جدا لو شوفتها،

هزت رأسها بعنف قائلة بلهجة حادة:

- هو حضرتك مين بالظبط ؟!

أخرجت بطاقتي لأريها إياها وأنا أعرف عن نفسي:

- أنا بشمهندس كامل محمد وأرجوك مرة تانية أنا فعلا محتاج جدًا أشوف أختك يمكن أقدر أساعدها،

التمست صدقي في نبرة صوتي الراجية فسمحت لي بالدخول لتوقفني خلف الباب قائلة:



- أنا مش عارفة أنت تقدر تساعدها أزاى ومش عارفة برده أزاي سمحت لك تدخل بس أنا ماليش غيرها في الدنيا جوزها توفى من شهرين بالوباء اللعين ومن وقتها وهي رافضة الحياة لحد ما اكتشفت أنها حامل حمدت ربنا أنها هتلاقي سبب تعيش عشانه وحاجة من ريحة المرحوم تصبرها لحد ما حصل اللي حصل الدكتور النفسي قالي إن حالتها غريبة لأن الغيبوبة مالهاش أي سبب طبي وإن استمرارها في اللاوعي رغبة منها، اتمنى فعلا تقدر تساعدها،

شكرتها على تفهمها وأصبحت موقنا أنها نفس السيدة التي رأيتها هناك فقد كانت سعيدة مع رضيعها في عالمها الخيالي خطوت نحو سريرها بخوف من احتمال صغير أنها لم تكن هي لأتأكد جين اقتربت منها ودققت النظر في وجهها البريء،

ابتسمت رغمًا عني وجلست بجوارها وأنا أقترب من أذنها هامسا:

- أنا شوفتك هناك وسط الخضرة والورد والقمر بس عاوز أقولك إن اللي هناك دا عالم خيالي ولو ما فوقتيش ابنك اللي حضناه وبتشاوريله على القمر مش هتلاقيه بين إيدك

لاحظت جهاز القلب يتسارع قليلا بصوت مزعج علمت أنني أخفتها بكلماتي فأكملت بتحدٍ واضح:



- ابنـك لسـه جـواك مـا طلعـش اللـي بـين إيـدك دا وهـم مـالوش وجـود لـو شـاكة فـي كلامـي تقـدري تشـمي ريحتـه مـش هتلاقـي حاجـة، بجـد ارجعـي للواقـع عشـان تعرفـي تاخديـه فـي حضـنك وتشـمي ريحتـه وتشـوفيه بيكبـر قـدام عينـك، هـي دي السـعادة الحقيقة اللي بتدوري عليها..

انتهـت كلمـاتي التـي لا أعلـم هـل سـتجدي نفعـا أم لا، ثـم وقفـت كـي أغـادر الغرفـة وأنـا أعطـي لأختهـا البطاقـة التعريفية الخاصة بي قائلا:

- دا رقمـي الشخصـي أتمنـى أنهـا تقـوم بالسـلامة و هستنى منك البشارة

نظراتهـا التعجبيـة حـاوطتني ولكنهـا أومـت برأسـها قائلة:

- أكيـد لـو فاقـت هكلمـك ، وبشـكرك علـى المحاولـة ومش هسألك كنت بتقولها ايه.

ابتسـمت لتفهمهـا بامتنـان وخرجـت مـز الغرفـة وأنـا اطلـب سـيارة تقلنـي إلـى المنـزل وجـدت احـدهم يبعـد عنـى خمـس دقـائق فحجزتـه ونزلـت مـن المصـعد انتظـره في الخارج حتى وقف أمامي

لـم أنتبـه لـه حـين وصـلتني رسـالة نصـية مـن راضـي يخبرني بها أنه يريد التواصل معي في أمر هام،



جلست في المقعد الخلفي داخل السيارة وأنا أحاول الاتصال براضي لينطلق السائق،

زفرت بضيق ولعنتُ غبائي حين وجدت بطارية الهاتف تنذرني بانتهائها قبل أن ينغلق، سمعت صوته من الأمام يقول لي:

- لما نوصل المكتب تقدر تشحنه

نظرت له عبر المرآة الداخلية وأنا أهدر به

- أنت عاوز مني إيه يا مختارا

*****

وصلنا لمكتب مختار فدعاني للدخول، ترددت للحظات وأن أحدق به بتعجب ما هذا الرجل!

تقدم نحو مقعده خلف المكتب الخشبي وهو يُخرج زجاجتين من المياه الغازية ليضعهما على المكتب قائلًا بكل حماقة:

- اقعد يا كامل أنا هفهمك كل حاجة

استمريت على وقفتي وأنا أرمقه بنظرة ممتعضه فهم منها لن أتقبل حديثه بعدما فعله بي ففتح حاسوبه وضغط بعض الأزرار ليلفه نحوي

- اقرأ الخبر دا



ثم اتبع حديثه برجاء

- آخر حاجة هطلبها منك

جلست وأنا أقرب الحاسوب مني لأدقق في الخبر المنشور في جريدة يعود تاريخها إصدارها لثلاثون عاما مضت حادثة الأغرب من نوعها في قرية الزوارعة التي تلاحقها علامات استفهام كثيرة في الآونة الأخيرة ولا تريد الحكومة الاستجابة لنا لإغلاق هذه القرية الغير آمنة على المواطنين لما يحدث فيها من ظواهر مخيفة وليس لها تفسير

أبلغت السيدة « فريدة إ « خمسة وثلاثون عاما عن اختفاء شقيقتها «فاتن» البالغة من العمر عشرون عامًا وشقيقها « فريد » البالغ من العمر ثلاثون عامًا، وولدها

«سالم» البالغ من العمر ثماني سنوات، حين كانوا في زيارة لأخيها الأكبر المجند في الجيش الوطني وقد أعربت السيدة فريدة عن استيائها الشديد من رجال الأمن الوطني الذين أخبروها أن عائلتها غير مسجلة في دفاتر الزيارة وأنهم لم يدخلوا القرية قط.

ومن الجدير بالذكر أن هذه ليست الحادثة الأولى التي تسجل حالات اختفاء حدثت لأفراد قليلة من المجندين ولكن هذه الفاجعة الأولى على الإطلاق في تسجيل

اختفـاء عائلـة بأكملهـا حتـى السـيارة التـي ذهبـوا بهـا لـيس لها أثر،

فهـل قامـت الأرواح العالقـة بالقريـة باختطـافهم كمـا يقول البعض ؟!

أم مـا وقـع لهـم هـو مجـرد حـادث سـير ولـم يعثـر رجـال الأمن على موقع الحادثة حتى الان ؟!

هذه ما سنعرفه في الأيام القادمة....

نظـرت نحـوه وأنـا أدفـع الحاسـوب ناحيتـه وعقلـي يُحلـل الخبر قائلا:

- قصدك إن اللي بتطلعلي دي منهم ؟!

رفع زاوية فمه بابتسامة غريبة وهو يسألني:

- أنت ليك أهل يا كامل؟!

وبنفس سخافة سؤاله أجبته:

- لاء طبعًا طلعت شيطاني

ضيق عينيه وهو يبرر سؤاله:

- أنـا أقصـد موجـودين، لأن اللـي أعرفـه أنـك عـايش لوحدك..

زفـرت بضـيق مـن هـذا الحـديث الملـل قـائلًا باسـتهزاء وأنـا أقـف ناويًـا المغـادرة علـى الفـور مـن هـذا اللقـاء الثقيل على نفسي:



- ما تخلي اللي أنت مخاويه يعرفك كل حاجة عني واطلع من دماغي يا أخي...

خطوت باتجاه باب المكتب وقبل أن أضع يدي على المقبض أوقفني قائلا:

- ما سألتش نفسك فريدة مارحتش معاهم القرية ليه ؟!

مكثت في موضعي فقد أثار فضولي ليكمل:

- كان ليها طفل تاني رضيع وقالت إنها ما عرفتش تروح معاهم لأنه مرض اليوم دا واضطرت تقعد معاه

التفت نحوه بملامح جامدة لأجده يقف متقدما نحوي:

- وبعد بلاغ فريدة وانتشار الخبر في الجرايد وكمان

طلعت سجلت في حلقة تليفزيونه تحكي فيها عن كل اللي حصل والحلقة دي اتمنع عرضها وقف أمامي بنظرات لها مغزى وهو ما زال يتحدث

- وبعدها تختفي فريدة وياخدوها العباسية ويحطوها في اوضة منفردة ويشاء ربنا أنها تفضل هناك لحد دلوقتي

حركت رأسي باستفهام قائلا:

- انت عاوز تقول إيه ؟!



لـــم يجيـــب علـــى ســـؤالي وهـــو يتخطـــاني ناحيـــة الثلاجـــة الصـــغيرة مخرجًـــا منهـــا زجاجـــة ميـــاه ليتجرعهـــا دفعـــة واحدة وبعدما فرغ من الشراب أكمل:

- الغريـــب بقـــى إن مـــا حـــدش عـــرف ابنهـــا الرضـــيع دا راح فـــين ومـــين اللـــي ربـــاه والأغـــرب بقـــى أنهـــم دوروا علـــى ابـــن ليهـــا باســـمها أو باســـم جوزهـــا مالقوش فص ملح وداب!

عاد لمقعده وهو يشير لي بكفه

- تفتكـــر هـــي ادتـــه لحـــد مـــن قرايبهـــا ســـجله باســـمه مـــن خوفها عليه، ولا تكون سابته في ملجأ ؟!

شـــعرت بالـــدماء الحـــارة تســـري بعروقـــي وفـــتح بـــاب الغرفـــة بعنـــف شـــديد خارجًـــا منهـــا ليتبعنـــي صـــوته وهـــو يقول:

- لو حبيت تروح تاني كلمني وأنا أجي أخدك...

أوقفـــت ســـيارة أجـــرة عائـــدًا لمنزلـــي وعقلـــي لـــم يتوقـــف عـــن التســـاؤلات التـــي تتـــابع بشـــكل مميـــت فتحـــت بـــاب الشـــقة ودخلـــت فاقـــد الأدراك لمـــا حـــولي لأجـــد هـــاتفي يـــرن كـــان رقمًـــا غيـــر مســـجل فلـــم اهـــتم للـــرد، ســـحبت حاســـوبي الشخصـــي مـــن أعلـــى المكتـــب وذهبـــت بـــه لغرفتـــي لأجـــد هاتفي يعاود الرنين برقم ذاته.

جلســـت علـــى المقعـــد ووضـــعت الحاســـوب أمـــامي فاتحـــا إيـــاه بـــالرقم الســـري للمـــرور وأنـــا أتلقـــى المكالمـــة مـــن



الشخص الذي يصر على محادثتي كان صوت امرأة سعيدة للغاية وهي تسألني:

- بشمهندس كامل

أجبتها بنعم فأخبرتني:

- أنا مرام أخت هند اللي حضرتك كنت عندنا في المستشفى من ساعات

تذكرتها على الفور، سيدة الأعراف كما أسميتها، صاحت مرام على الطرف الآخر:

- أنت معايا يا بشمهندس

صوت موظفة الاستقبال الذي ينادي على دكتور »

عادل كي يذهب لغرفة الطوارئ على الفور جعلني اتشتت للحظات حتى عدت سريعا لمرام

- معاك يا مرام... هند أختك بخير؟

هتفت بفرحة شديدة

- هند فاقت يا بشمهندس بفضل ربنا وبفضلك

ابتسمت بسعادة اتسأل:

- ازاي ؟!

سمعتها تُجيب أحدًا أمامهما:

- ثواني بس معايا تليفون

ثم عادت لي قائلة :



- ما حدش عارف بعد ما مشيت على طول بشوية كدا سمعت صوت جهاز القلب بيعلى اترعبت جدًا وجريت زي المجنونة انده للدكتور ولما رحنا لقينها فاقت

أدرت محرك البحث على » حوادث قرية الزوارعة « ثم أجبتها بسرور كبير لما سمعته

- حمد لله على سلامتها

سمعتها تبتعد عن الضوضاء وهي تسألني بهمس:

- ممكن أعرف أنت عرفت منين إن الدكاترة قرروا يولدوها بكرة وانهم بعدها هيفصلوا عنها الأجهزة لأن هما وعدوني أن ما فيش مخلوق هيعرف عشان الكلام ما يوصلش لأمي وأبويا وهما حالتهم الصحية مش هتتسحمل يفقدوا بنتهم ؟!

توقفت عن البحث في المقالات التي ظهرت أمامي وعدت بتركيزي لمرام لأقول لها بتعجب

- أنا أول مرة أسمع منك المعلومات دي دلوقتي

أجابتني بدهشة:

- أزاي يا بشمهندس الدكتور اللي دخل بعد ما أنت مشيت قالي إنك هددته ومش هتسمح لهم يعملوا

كـدا ولـو عملـوا كـدا هتبلـغ عـنهم وتقفلهـم المستشـفى
شعرتُ بدوار طفيف وأنا في حيرة مما أسمعه!

وجـدتها تحـدث أحـدهم ثـواني أنـا جايـه حـالا، ثـم عـادت لمحادثتي:

- عامـة أنـا بشـكرك جـدًا علـى مسـاعدتك لينـا وكـل الشـكر والامتنـان مـش هيـوفي حقـك دا رقمـي لـو احتاجـت أي حاجـة فـي أي وقـت هتلاقينـي سـدادة إن شاء الله،

ثـم أنهـت المكالمـة بالسـلام وتركتنـي فـي ذهـول ممـا قالتـه لأخـرج مـن هـذه الحيـرة بحـل منطقـي حتمـي، الشـخص الـذي تحـدثت عنـه لـم يكـن أنـا بالتأكيـد أحـد أقـاربهم وقـد اختلطت الأمر على الطبيب...

عـدت لبحثـي عـن أي معلومـات متعلقـة بهـذه القريـة فلـم أجـد سـوى القليـل قمـت بقـراءة الجميـع فلـم أجـد مـا يثيـر اهتمـامي حتـى الخبـر الـذي قرأتـه عنـد مختـار لـم يكـن موجود على الإطلاق،

اغمضـت عينـي لأسـترجع المقـال فتـذكرتُ أن مختـار لـم يرنـي هـذا المقـال عـن طريـق محـرك بحـث لقـد كانـت مجـرد صـفحة محفوظـة علـى الحاسـوب تـذكرت اسـم الجريـدة فقمـت بالبحـث عنهـا فوجـدت أنهـا جريـدة قديمـة قـد تـم إغلاقهـا مـن سـنوات بعيـدة شـعرتُ بصـداع رأس يداهمني لأغفى مكاني وأنا جالسا،



رأيتـــه ثانيـــة، ضـــخم الجثـــة أسـود الوجـــه والعينـــين حـــدقتاه تتسع أمام مقلتاي باللون الرمادي يقف أمامي مباشرة!

ارتعـــدت أوصـــالي ليمـــد يـــده بورقـــة قديمـــة يحركهـــا أمـــامي كـــي أخـــذها منـــه، نظـــرت نحـــو الورقـــة وامســـكتها بيـــد مرتعشة لأرفع رأسي ثانية أمامه لأجده قد اختفى!

ضـــممت حـــاجبي وأنـــا افـــتح الورقـــة لاقـــرأ مـــا فيهـــا فوجـــدت إعصـــار قـــد هـــب لتطيـــر الورقـــة مـــن يـــدي وتهـــبط بعيـــدًا عنـــدما توقفـــت الريـــاح ركضـــت ســـريعًا بكـــل مـــا أوتيـــت مـــن قـــوة لأجـــد قـــدماي لا يتحركـــان رغـــم محـــاولاتي البائســـة فـــي الـــركض شـــعرت بشـــيء يـــركض خلفـــي كـــي يمســـك بـــي بغـــرض أذيتـــي حاولـــت التحـــرك رغـــم أننـــي أشـــعر بهـــدر قلبـــي خوفـــا حتـــى بـــت أركـــض كـــالحيوان بقـــوائمي الأربعـــة حتـــى وصـــلت للورقـــة فأخـــذتها وأكملـــت الجـــري بيـــدي الإثنـــين وقـــدمي وأنـــا ألهـــث مـــن التعـــب وكـــأنني أزيح الأرض من تحتي

المجهـــول والرعـــب يحـــاوطني مـــن كـــل مكـــان، إلـــى أن وجـــدت منـــزل أمـــامي فـــذهبت أختبـــئ داخلـــه مـــن وكتمـــت أنفاســـي وأنـــا أقنـــع نفســـي أننـــي محبـــوس داخـــل كـــابوس مفـــزع وسأســـتيقظ الآن، فتحـــت الورقـــة التـــي بيـــدي لأجـــد فيهـــا جملـــة مكتوبـــة بخـــط كبيـــر عـــد للأعـــراف اســـتيقظت بفـــزع علـــى طـــرق شـــديد علـــى بـــاب الشـــقة أنفاســـي كانـــت لاهثة وقلبي يكاد يخرج من أضلعي من سرعة دقاته،

ترنحـــت حـــين أردت الوقـــوف لأفـــتح البـــاب للطـــارق الـــذي لا ينفـــك عـــن الطـــرق ثـــم أبدلـــه بالضـــغط علـــى جـــرس



الباب ليزيد من توتري، أسرعت في خطاي حتى فتح الباب لأجد علا أمامي بغضب مستعر،

وقبل أنا أفتح فمي أمسكت كفي لتفتحه بكفها البارد المرتعش ووضعت به خاتم خطبتنا وهي تقول بكل قوة حاولت التمسك بها:

- كل اللي بينا انتهى و ربنا يوفقك في حياتك يا كامل...

ثم تغرغرت عينيها بدموع أبت أن تسقط أمامي لتلفت نحو الدرج حاولت أن أتحدث فانعقد لساني ومازال كفي يقبض على خاتمها نظرت لظهرها الذي تواليه لي لأجدها تتلكأ في نزولها أول درجتين للسلم وكأنها تنظرني أن أوقفها ولكنني عدت خطوة للوراء ثم أغلقت الباب خلفها تاركا كفي يرتخي ليقع الخاتم أرضًا وأنا اتحرك ببطء نحو غرفتي قاصدًا فراشي لأرتمي عليه بضعف أصاب جسدي وروحي معا،

تمددت وأنا أخلق بعيني لسقف الغرفة ساكنا أنظر للفراغ معطلا عقلي عن العمل أشعر بالخواء بداخلي ومن حولي،

مكثت على هذا الحال حتى أشرقت الشمس بنورها أرجاء الغرفة،

اعتدلت وكأنني نمت قرنًا من الزمن دون أن أغمض للحظة،



وباليــة تامــة بعثــت رســالة نصــية لمــديري فــي العمــل أطلــب مــن أجــازه طويلــة غيــر محــددة التــاريخ أو أن يقبل استقالتي،

لــم انتظــر رده علــى الرســالة ولــم أرد علــى اتصــالاته لا هــو ولا زملائــي ثــم بعثــت برســالة أخــرى لمختــار ابلغــه بهــا أنننــي انتظــره أن يمــر علــي كــي تعــود للقريــة، دلفــت لــدورة الميــاه بآليــة تامــة كــي أســتحم وخرجــت ارتــدي ملابســي، توقفــت حيــث ســمعت صــوت وصــول رســالة لأري أنها من مختار يقول لي:

- أنا منتظرك تحت البيت

وضــعت الهــاتف فــي جيبــي وصــففت شــعري وارتــديت حــذائي وتوجهــت لمختــار الجــالس فــي ســيارته ينتظرنــي أمــام بــاب المنــزل الخــارجي جلســت علــى المقعــد بجــواره دون أن أتحدث معه،

لينطلــق هــو فــي طريقــه نحــو القريــة وهــو ينظــر نحــوي بطــرف عينيــه، لــم أعــره اهتمامــا وأنــا أتطلــع بشــرود عبــر النافذة...

أخرجنــي مختــار مــن شــرودي وهــو يســألني بخــوف ظهــر فيي نبرة صوته

- أنت كويس؟!

اكتفيت بإماءة جعلته يكمل حديثه



- الأعـــراف مـــش مكـــان ســـهل دا مكـــان محتـــاج إيمـــان قوي وقلب من حديد وعقل سليم يا كامل

لم أجيبه فصرخ بي وهو يوقف السيارة:

- أنـــا مضـــربتكش علـــى إيـــدك عشـــان تـــروح انـــت اللـــي طلبتني

نظرت له ابتسم بسخرية

- زي المـــرة الأولـــى كـــدا أنـــا اللـــي قولتلـــك وديـــني هناك ومن غير حتى ما تحذرني

تنهد بقوة ليسيطر على أعصابه قائلًا:

- المـــرة الأولـــى بســـيطة وأي حـــد ممكـــن يـــروح ويرجـــع عـــادي ببســـاطة ومـــن غيـــر مـــا يحصـــله أي مضـــاعفات لـــو التزمنـــا بالوقـــت المناســـب إنمـــا المـــرة التانيـــة مـــش هقـــدر أرجعـــك أنـــت اللـــي لازم ترجـــع بمزاجـك ولـو فضـلت هنـاك أكثـر مـن يـوم بليلـة مـش هترجع أبدا،

أثـــار حديثـــه انتبـــاهي وقبـــل أن أحـــاول أن أفهـــم مـــا يقـــول سألته سريعًا وبذعر واضح

- واحنا هنفضل في القرية بليل

ملامحـــة أجابـــت قبـــل لســـانه لتتصـــاعد ضـــربات قلبـــي قبـــل أن يقول:



- لو عاوز تساعدهم هنضطر نفضل لتاني يوم الصبح ما تقلقش احنا هنبقى في العربية وقافلين علينا بس وأنا كمان عارف مكان هنا مستخبي شوية ممكن نفضل فيه في آمان

زفرت بضيق وأنا أصك أسناني

- أنا عاوز أفهم كل حاجة لو سمحت وبطل الغازك دي

سألني بنفاذ صبر:

- عاوز تفهم إيه ؟!

خبط بيدي على التابلو أمامي:

- كل حاجة يا ،مختار مين دول؟ واشمعنا أنا اللي اختارتنا فاتن ؟ وأهل القرية حابسينهم ليه؟ وهروح الأعراف أعمل إيه وأنقذهم أزاي؟ دا هما بيت بعيد وعليه حرس والأهم من دا كله أنت هتستفيد إيه لما تخاطر بيا وبنفسك ؟ اتفضل جاوب

أخذ نفس عميق وأنا اتطلع نحوه منتظرًا إجابته على كل أسئلتي، نطق أخيرًا بعد عدة لحظات:

- دول مين أنا جاوبتك قبل كدا لما وريتك المقال دول عيله راحوا يزوروا أخوهم المجند واختفوا



ولحد الآن ما رجعوش ولا حد عارف إيه اللي حصل لهم، اختاروك ليه حاولت أعرف كتير اشمعنا أنت اللي شوفت ابن أختها الصغير على القضبان مالقتش غير جواب واحد أنت اللي مش عاوز تصدقه

اسودت عيناي وأنا أنظر إليه بغضب فرفع كفيه أمامي قائلًا:

- أنت حر وبكدا جواب السؤال دا عندك لو محتاج وقت تتأكد ممكن أقولك فريدة في انهي مستشفى وبالنسبة لسؤالك أهل القرية حابسينهم ليه تقدر تسأل فريدة لو حابب تعرف لأني حاولت معها قبل كدا وما رضتش تقولي هتروح الأعراف تعمل إيه ما اقدرش أجاوبك لأن دا طلبك و مدام قررت تروح يبقى عاوز تعرف إجابات لأسئلتك الكتير تخصك أنت.. أنا ما أعرفش تقدر تنقذهم ازاي طريقة إنقاذهم برده دي تخصك انت أما عن مصلحتي فدا أصلا شغلي وأنا متعود على المخاطر، بالإضافة لأن حلي للغز الزوارعة هيخلني أهم الروحانين اللي في العالم ودا هيعود عليا بشهرة كبير ومال ودا من أسبابي المهمة اللي تخليني أشتغل شغلانة زي دي

رفع كفيه أمام وجهي قائلا:



- كدا أنا جاوبتك على كل أسئلتك وعرفتك كل اللي أعرفه القرار دلوقتي بتاعك تحب ترجع ولا نكمل ؟

أخذت نفس عميق واعتدلت في مجلس لأخبره بقراري الأخير

- وديني عند فريدة

ظل يرمقني للحظات ثم انطلق نحو مشفى الأمراض النفسية والعصبية عدتُ لأتطلع للزحام عبر النافذة لعدة دقائق حتى وصلنا ترجلنا من السيارة قاصدين المشفى الذي أدخله لأول مرة في حياتي، فكلما خطوت خطوة خلف مُختار أجد شخصًا يرمقني بنظرة مخيفة اتعجب لها كثيرًا،

الجزء منهم جالسًا بمفرده على مقعد خشبي ينتصف الحديقة الخارجية، والبعض الآخر واقفًا بتوتر في انتظار شئ ما!

التفت لي مختار قائلًا:

- استناني هنا ثواني

هززت رأسي باستفهام قائلا:

- ليه خير!

أجابني بنفاذ صبر وهو يلتف حوله في واحدة هنا معرفة هتدخلنا لأن الزيارة ممنوعة لأي حد مش



قريب للمريض من الدرجة الأولى لم ينتظر استفسارًا آخر وانطلق داخل المبنى...

نظرت بعيني لأقرب مقعد وجدتُ أريكة خشبية يجلس عليه شاب في العشرينات من عمره شارد الذهن يتامل الفراغ أمامه بوجه عابس وملامح جامدة توجهت نحوه لأجلس بجواره وتعمدت أن أكون على الطرف الآخر وبمجرد لمس جسدي المقعد حاصرني بنظراته المتفحصة للحظات ثم عاد برأسه للأمام كما كان نظرت نحو الممر الذي دخل فيه مُختار اترقب عودته لأرى هذه السيدة التي من المحتمل أن تكون أمي ويكون هذا هو التفسير الوحيد لظهور فاتن لي أو رؤيتي لـ...

أوقفني الشاب عن استرسالي بصرخة

- كذااب

ضيقتُ عيني وأنا أنظر نحوه أتأمل وجهه الساكن الذي لم يتحرك نحوي بل ظل على جموده

وقبل أن اتجاهله وأعود لمراقبة الممر وجدته ينحني ليقترب بجسده نحوي وهو يهمس في وجهي ويهز رأسه بعنف:

- كداب

رفعت حاجبي أساله بنفس الهمس



- هو مين ؟!

اقترب من أذني قائلًا:

- أي حد غير نفسك.. متصدقوش

ثم ابتعد ليعود مكانه ثابتا بجمود غريب أدرت وجهي للجانب الآخر فوجدت مختار قادمًا ولكنه حين وجدني منتبها له توقف عن التقدم و وأشار لي

قمتُ لأتوجه نحوه فوجدتُ أحدهم يمسك كفي بقوة!

التفت سريعًا لأجده الشاب الذي كان يجلس بجواري يدقق النظر بعيني بطريقة مخيفة للغاية ليتحول بؤبؤ حدقته للون الأبيض وهو يقول لي بصوت خشن غريب غير الذي حدثني به من قبل:

- أوعى تواجه هالك ولا تعرفه أنك هناك...

سحبت كفي من بين يده وابتعدت عنه بذعر وأنا ما زلت أراقب عينيه التي عادت لطبيعتها وعاد هو لمجلسه كما كان وكأن شيئًا لم يحدث

وصلت لمختار الذي سألني على الفور عما كان هذا الشاب يحدثني، أجبته وأنا أتقدم لأتخطاه

- ولا حاجة .. دا شاب مجنون ما تشغلش بالك

أشار لي أن اتجه لليسار وأدلف للغرفة الثانية، اندهشت من عدم دخوله معي فبرر لي أنه لن نستطيع الدخول معا الزيارة لفرد واحد وقد سمحت الممرضة



المسـؤولة عنهـا بـدخولي بأعجوبـة وضـعت يـدي المُرتعشـة علـى مقـبض البـاب وفتحتـه بـبطء وجسـدي يهتـز مـن هـول الموقـف بينمـا أشـعر ببرودتـه الشـديدة تـنخفض رغـم قطـرات المـاء التـي تنسـاب مـن كفـي وصـوت أزيـز البـاب وأنـا أغلقـه يـؤلمني مـن خلفـي رأيتهـا تـواليني ظهرهـا جالسـة علـى كرسـي متحـرك توقفـه أمـام نافـذة غرفتهـا المفتوحـة علـى الحديقـة الكبيـرة التي كنت أجلس بها منذ قليل،

اقتربـت بخطـوات هادئـة وأنـا أفكـر فيمـا يجـب عليـا قولـه ؟!

هـل أسـألها لمـا تركتنـي لعائلـة أخـرى تقـوم بتنشـئتي بينمـا أنـا أسـأل نفسـي كـل ليلـة لمـاذا تخلـت امـي عنـي أم أسـالها أولا هل هي ستتعرف علي ؟ أم ستنكر وجودي ؟!

نظـرت حـولي وأنـا فـي منتصـف الغرفـة وهـي مـا زالـت علـى وضـعها ليتوقـف سـيل الأسـئلة المتـدفق ويبقـى سؤال واحد ما الذي أفعله أنا هنا؟!

وقبـل أن التفـت لأخـرج مـن هـذه الغرفـة الخانقـة بكـل مـا فيهـا مـن تشـتت، وجـدتها تلتفـت نحـوي بعينـين رماديـة سـاحرة رغـم التجاعيـد التـي تحاوطهمـا ، إلا أنهـا فاتنـة الجمـال مثـل أختهـا، نظـرت لـي مطـولاً ثـم ابتسـمت بخفـة وهي تقول :

- بقيت راجل ملو هدومك يا كامل



توقفت أنفاسي للحظات بينما تصاعدت وتيرة نبضاتي لينعقد لساني عن التفوه بأي حرف لتكمل هي حديثها بعين لامعه

- سامحني يا ابني كنت عاوزة أحميك وأبعدك عن اللعنة اللي صابت عيلتنا كلها وكل دا عشان جدك حاول يحمينا من القرية وأهلها،

حاولت أن افتح فمي و فلم أستطع، بينما هي ا أكملت حديثها:

- دا قدرك يا كامل ولازم تنقذ خالتك وخالك وأخوك ما حدش هيعرف يطلعهم من هناك غيرك، وأوعى تصدق أنهم ماتوا أوعي يا كامل

ثم عادت بكل هدوء تنظر من النافذة، لم تطلب اقترابي لتلمسني بعد كل هذه السنوات لتحتضنني كأي أم طبيعية، لم تقترب حتى هي مني بل جل ما فعلته هو تلقيني ما يجب عليا فعله لأنقذ عائلتي لا أعرفها حتى ما هذا الهراء

خرجت من الغرفة لأجد مختار ينتظرني فسألته

- هي عرفت اسمي منين؟!

لم تتغير نظرته ليجيب

- ما سألتهاش ليه ؟!





ببساطة أشرت برأسي لا مباليا وتقدمته نحو السيارة، ورغمًا عني توجهت عيناي نحو المقعد الخشبي فلم أجد الشاب الذي كان يجالسني منذ قليل، لا أعلم حقًا لما أهتم لأمره ولكنني شعرت بشيء عجيب تجاه وكعادتي في الآونة الأخيرة في تجاهل كل مشاعري القوية كانت أو الضعيفة، صعدت للمقعد بجوار مختار الذي بدأ في القيادة نحو القرية،

أعاد علي ما قاله في بداية المشوار من المخاطرة في الذهاب للأعراف وأضاف تفصيله مهمة:

- وخد بالك لو رجعت ما فيش مرواح هناك تاني على الأقل ٧٢ ساعة ثلات ليالي ومستحيل ترجع قبل كدا،

فدي فرصتك الوحيدة أنك تخرجهم...

اعتدلت في مجلسي وأنا أفكر ماليا، هل أبحث عن سبب هناك قبل أن أذهب؟ أم أذهب لأعرف باقي قصة سجنهم من الرجل الذي قابلته المرة الماضية وأعود ثم أذهب مرة أخرى؟

حدثت مختار عما يدور في عقلي فأجابني:

- ما حدش هنا يعرف حاجة الوحيدة اللي تعرف كانت فريدة هي قالتلك حاجة ؟



أجبته وأنا شارد الذهن

- قالتلي أنه جدي كانوا عاوز يحميهم من القرية وأهلها ودا كان السبب إنهم ينتقموا من العيلة

سألني باهتمام:

- طيب هو جدك عمل إيه ؟

نظرت له بغضب قائلا:

- وأنا أعرف منين

وبسخرية وتهكم أكملت:

- إذا كنت لسه النهاردة عارف إن ليا أم وعايشة في مستشفى أمراض نفسية

وفجأة توقف مختار على جانب الطريق وهو يقول لي:

- فاكر اللي المكان اللي ! أنت حكيتلي عليه لما فقدت الوعي في الحمام

نظرت له باهتمام وقد بدأ عقلي يعمل بشكل صحيح وأنا أتذكر مجموعة الشباب الذين قابلتهم في القرية والشاب إسماعيل الذي قالت عنه الفتاة أنه أخرج عائلته من القرية

وجاء كي لا يشعر أحد بمغادرتهم كي يبيع أرضة في الخفاء هل هذا هو جدي وهذا هو الثأر من أهل القرية على خروجه؟!



زممت شفتاي وأنا أتسأل:

- طب وأشمعنا جدي اللي هينتقموا من أحفاده ما كان في حوالي ٥ شباب غيره خرجوا من القرية قبل العدوان؟

نظر مختار نحوي وهو يرفع كلتا كتفيه قائلًا:

- أكيد في سبب أقوى من كدا، لو روحت أكيد هتعرفه

شعرت بداخلي بشيء يدفعني نحو «فاتن» المسجونة بسببي، سأذهب لعلي أستطيع إخراجها على الأقل من سجنها بالمبنى المقبض للنفس هذا،

أشارت له كي يكمل الرحلة للقرية أكمل مختار حتى وصلنا هناك والوقت كان منتصف الظهيرة تفاجأنا أنا وهو من وجود سيارات فريق العمل الخاص بالشركة هناك،

يبدوا أنهم شرعوا في العمل صرخت به ليتوقف كي لا يرني أحد وبالفعل توقف مُختار ترجلنا من السيارة على جانب الطريق بعيدا عن مرمى بصرهم ونحن نبحث بأعيننا طريقًا مختفي عن الأنظار،

٥ دقائق قضيناها كان التوتر هو سيد الموقف لأن الوقت يمر ويجب علينا أن ندخل القرية ونجد مكانا آمنا نقف فيه أذهب من هناك للأعراف قبل أن تغرب الشمس استمرينا في الالتفاف حول نفسنا لبضعة



دقـــائق أخـــرى حتـــى لمحـــت أثـــر عجـــلات لســـيارة تمـــر مـــن فـــوق التـــراب وتتجـــه فـــي اتجـــاه معـــاكس للقريـــة أشـــرت لمختار عليها كي يتبعها وأنا أخبره

- هـــي مـــش القريـــة دي كانـــت متاهـــة أكيـــد دا أثـــر عربية دخلت من ممر منهم

أومأ برأسه وهو يقول:

- تمام نجرب ندخل من هنا يمكن نوصل

صـــعدنا مـــرة أخـــرى لينطلـــق مختـــار خلـــف الأثـــر، لنمـــر بعـــدة أبنيـــة متهالكـــة فـــي ممـــرات متشـــابكة وكلمـــا دخلنـــا ممـــر خرجنـــا للآخـــر لنجـــد أنفســـنا نعـــود النقطـــة البدايـــة فهـــي متاهـــة بالفعـــل بـــل بكـــل مـــا تحمـــل الكلمـــة مـــن معنـــى بـــدأ يمـــر الوقـــت مـــرورًا ســـريعًا وكـــأن عقـــارب الســـاعة تتـــابع دون هـــوادة خارجـــة عـــن التوقيـــت المعتـــاد والطبيعـــي، لأكتشـــف أن كـــل شـــيء يتعلـــق بهـــذه القريـــة خارج عن المألوف ومُقبض للنفس،

لأدرك لبرهـــة أن فـــأر التجـــارب الـــذي يختبـــر ا العلمـــاء مـــدى ذكائـــه بقذفـــه فـــي إحـــدى المتاهـــات ومراقبتـــه عـــن كثـــب وهـــو يخـــرج منهـــا أو يمـــوت جوعـــا بالفعـــل هـــو شـــعور مقيـــت للغايـــة مـــا الـــذي يفعلـــه بنـــا هـــؤلاء القـــوم و أنـــا شـارد فـي هـــذه المتاهـــة وجـــدت الممـــر الضـــيق الـــذي مـــر



منه إسماعيل حين كان يُخرج الشباب من القرية، صرخت بمختار ليتوقف سريعا قبل أن نفقده، وبالفعل توقف ليتخذ هذا الممر لأرشده للخارج كما رأيت حين كنت هناك وصلنا للمنطقة الصحراوية ليتوقف مُختار وهو ينظر نحوي بدهشة قائلا:

- أنت عرفت المكان دا منين؟!

رفعت طرف شفتي بعدم اهتمام

- ما أنا جيت هنا قبل كدا

ابتسم بفرحة لا أعلم سببها وهو يقول:

- أنا منبهر أنك فاكر

بادلتها الابتسامة لأجيبه بسخرية

- لاء ما هما كانوا مسميني في الجامعة صاحب الذاكرة الحديدية أو الفولاذية يعني الطلبة كان ليهم وصف والدكاترة كان ليهم وصف

ثم أشرت له نحو الصخرة التي احتمينا بها وقت الغارة قائلا:

- روح ورا الصخرة دي هناك مكان مستخبي أكثر من هنا وبسرعة لأن الشمس قربت تغيب فاضل ، دقايق

وقف بالسيارة الموضع الذي أشرت له به وبدأ في رسم دائرته كما السابق. جلسنا وسط الدائرة أمام



بعضنا البعض وقبل أن يبدأ بهمس تعاويذه الذي لا يعرف بأنني قد حفظتها عن ظهر قلب قال لي:

- هتروح زي ما قولتلك يا كامل حاول تعرف إجابات كل أسئلتك من غير ما حد من القرية يحس بيك لأنك لو رجعت تاني قبل 3 أيام ودي مدة كافية تخليهم يمنعوك حتى من دخول الأعراف بطرق عمرك ما تتخيلها

خطر لي سؤال وعلى الفور أخبرته به:

- هو أنت ليه مروحتش الأعراف يا مختار؟

وقبل أن يُجيب حاصرته

- ما تقوليش أنك مش لاقي حد ينيمك تنويم مغناطيسي،

أنت صدعتني من يوم ما عرفتك أحنا الروحانيين أصل الروحانيين اللي زينا ما أعرفش إيه...

نظر لعيني بتفحص قائلًا:

ومين قالك إني ممكن أثق في حد فيهم يرجعني تاني

اقتربت من وجهه وبنفس النظرة

- وتفتكر إيه اللي يخليني أثق فيك ترجعني

أجابني بدهشة:



- أنا مصلحتي في رجوعك ورجوع أخر سلالة من عيلة أبو الغار

ضيقت عيني مرددًا:

- ما افتكرش إني شوفت اسم العيلة في المقال اللي ورتهولي ولا تكون فريدة قالتلك؟

أغمض عينيه وبدأ في : ترديد، تعويذته دون إجابتي ثم فتح عينيه مدققا النظر عيني بينما أنا أنتظر الكلمة التي سوف يفرقع بإصبعه بعدها،

وجاءت اللحظة التي انتقلت بها إلى الأعراف

*****

لم يتغير هذا العالم كثيرًا عن المرة السابقة ولكن الوجوه والعوالم الخيالية لكل روح اختلفت فهؤلاء أكثر حزنًا وسوداوية،



سـرت ببطء دون وجهة مُحددة على أمل أن أرى الرجل العجوز الذي قابلته من قبل فهو الوحيد الذي استطعت الحديث معه، كل هؤلاء في قوقعتهم الخاصة ولا أحد منهم ينتبه لما حوله وأنا على يقين أنهم لا يرون بعضهم البعض وفي طريقي لفت نظري طفل صغير يحاوطه عدة ألعاب في حديقة كبيرة منظره كان مُبهجا للغاية فوقفت أتأمله فوجدته يلعب بسعادة تغمر وجهه بأكمله بينما ضحكته الرائقة العالية جعلتني أبتسم رغمًا عني وفي لحظة كان يتأرجح بها عاليا في مرح شديد، توقفت ضحكته وانعقد حاجبيه بحزن كبير وعيناه بدأت تمتلأً بالدموع اقتربت منه بخطوات سريعة لأرى ما به فوجدته قد اختفى وما زالت أرجوحته تتمايل للخلف وللأمام،

- رجع خلاص

صوته جاء من خلفي وهو يكمل:

- رجعت تاني ليه ؟!

التفت نحوه بابتسامة أجيبه

- عاوز أعرف منك اللي قولتلي إن ما حدش يعرفه غيرك،

أشار لي أن أذهب خلفه، ثم خطى في اتجاه مخالف...

لحظات ووصلنا للخيمة الخاصة به أمام البحر، جلست على نفس المقعد وأنا أقول له بابتسامة ودودة:



- أنا قولت أكيد مش هلاقيك لأنك قولتلي إن العالم دا بيتغير كل يوم وقولت هتوه وأقعد أدور على حد يسمعني يكلمني

أغمض عينيه وهو يرفع يده ليظهر بها قنديلا قديمًا مضيئا أضاء المكان بأكمله مثل الشمس وضعه على منضدة بجواره ثم نظر لي قائلا:

- ولادي مش راضيين يسيبوني أموتزقطبت حاجبي وأنا أسأله باهتمام:
- وأنت عاوز تموت ليه ما تخليك وسط ولادك أكيد محتاجينلك

ضحك بسخرية واستهزاء وهو يجيبني

- محتاجني ياراجل دا أنت طيب قوي

قتلني الفضول لأعرف قصة هذا العجوز غريب الأطوار إلا أنه لم يدع لي الفرصة لسؤال آخر ليقاطعني قائلا:

- قولي بقى أنت رجعت ليه ؟ مع إنك المرة اللي فاتت كنت زعلان من دكتورك الروحاني أنه جاب هنا من غير ما تعرف وطبعا مش محتاجة ذكاء إن المرة دي جاي بمزاجك شكل المكان عجبك ...

ابتسمت له ابتسامة واسعة وأنا أقول له:

- أنا فعلا جيت بمزاجي، بس عشان أقابلك



ضربني بخفة على قدمي وهو يشاكسني قائلًا:

- يا بكاش

أضحكني هذا العجوز كثيرًا لأمازحه

- الوصف بتاعك دا انتهى من سنة خمسين يا حاج، دا أنت قديم قوي...

ثم أخذت نفسا عميقا وأنا أخبره

- جيت أعرف معلومات عن العيلة دى عشان أنقذهم اقترب بوجهه مني مستفهما
- وإيه اللي خلاك تقرر تنقذهم ؟

رفعت زاوية فمي بتهكم قائلا:

- أصلي اكتشفت أنهم عيلتي شوفت الصدف

رفع حاجبه بتعجب يدقق في وجهي، فرفعت كتفي ليقف هو خارجا من الخيمة أمام البحر لأتبعه قائلا:

- ألا قولي يا راجل يا عجوز إيه المتعة في الخيمة اللي قدام البحر دي ؟! دا أنا شوفت ناس مدلعين نفسهم هنا،

تمدد على كرسي قماش مفتوح ليضع كلتا ذراعيه خلف رأسه براحة قائلا:



- أنت ما تعرفش أنت بتكلم مين يا بشمهندس ولا إيه

تمددت على الكرسي بجواره قائلا:

- أنت مين يا حاج، الزعيم

ابتسم رغمًا عنه ليحول رأسه تجاهي وبجدية بانت على ملامحه

- رغم إنك بتتريق بس أحب أقولك إني أهم من الزعيم ذات نفسه، لأن أنا اللي بحركه ... ومش هو لوحده دا كلهم،

ثم غمز لي بعينه وعاد ينظر نحو البحر الأزرق الكبير وهو يقول:

- هو في أحسن من البساطة والراحة دي

بالفعل الشعور هنا مريح للنفس والعين معا ذهبت عيني للبيت على الجانب الأخر وأنا أشير له قائلا:

- عاوز أعرف حكايتهم

تنهد بعمق وهو يُخبرني قصتهم من البداية

- عباس أبو الغار جدهم الكبير كان من ضمن الظباط الأحرار اللي قاموا بثورة ٥٢ كان ظابط

مــن الشــرفاء اللـــي يفــدوا البلــد بــدمهم بــس هــو كـــان مــن ضــمن اللـــواءات الكبـــار اللـــي كـــانوا ســـبب لنجـــاح الثـــورة ابنـــه الكبيـــر إســـماعيل كـــان لســـه ظـــابط احتياطي وقتها بس كان مقامه عالي عشان أبوه،

بعــد الثـــورة رجـــع عبـــاس بلـــده رافـــع راســـه وســـط عيلتـــه وأهـــل الزوراعـــة كلهـــم كـــانوا بيســـتقبلوه هـــو وإســـماعيل ابنـــه اللـــي أتجـــوز قبـــل مـــا يتجنـــد وكـــان معـــاه فريـــدة وفريـــد وفـــاتن وفـــي الإجـــازة دي إســـماعيل خطـــب لفريـــدة فـــي خـــلال ال ١٥ ســـنة دول كانـــت فريـــدة اتجـــوزت بـــس مكـــنش لســـه ربنـــا رزقهـــا بالخلفـــة وكانـــت الجميلـــة بترعـــى أولادها وعيلتها وعايشين في تبات ونبات في قريتهم،

ثم توقف عن سرده ينظر نحوي قائلًا:

- مـــرات إســـماعيل كـــان اســـمها جميلـــة أوعـــى تفهمنـــي غلط،

أسند برأسه كما كان ليكمل حديثه

- رجـــع إســـماعيل إجـــازة وفجـــأة لقـــى قـــرار عبـــد الناصر لقيام الحرب،

وحـــد مـــن زمايلـــه قالـــه أنـــه الزوارعـــة هتبقـــى تحـــت العـــين أول مـــا الحـــرب تبـــدأ لأســـباب كتيـــر كـــدا أنـــت مـــالكش دعـــوة بيهـــا أعتـــدل جالسًـــا علـــى مقعـــده وهـــو يشـــير لـــي أن أعتدل

- الحتة الجاية دي . عاوزة تركيز

ابتسمت له وأنا منصت بتركيز تام ليضم هو كفيه بعضها البعض ليخبرني

- أول ما إسماعيل عرف الموضوع دا خد مراته و ولاده وبنته وجوزها وخرج من متاهة الزوارعة بليل والناس نايمة إسماعيل وجوز بنته وأي ظابط كان من البلد كان عارف الممر السري الوحيد اللي بيوصل لأنفاق من تحت الصحرا بتودي لمكان مش هقولهولك دلوقتي

رفعت كتفي أتساءل:

- بلاش شغل التشويق دا أنا معنديش وقت ومش هعرف

أرجع قبل ٣ اسابيع لم يعر لكلامي اهتمام ليكمل

- كان لازم إسماعيل يرجع يبيع أرضه ويرجع على وحدته قبل ما الحرب تقوم

ولما رجع ...

أوقفته قائلا:

- أنا عارف الباقي اللي مش عارفه ليه خدوا ولاده حبسوهم ؟

وقف يتقدم نحو البحر وهو ينظر تجاه المنزل قائلًا:

- لأن بعد الغارة الأولانية الباقي من أهل القرية جرى على بيت إسماعيل يدوروا عليه أو على جوز بنته أو على ابنه لأن البيوت والأراضي



كــــدا بتتـــورث زي دي الممـــرات لا لقـــوه لا هـــو ولا ابنه ولا حتى جوز بنته

وفـــورا اتهمـــوه بالخيانـــة وحـــاولوا يروحـــوا يحتمـــوا فـــي الثكنـــة اللـــي جنـــب القريـــة قامـــت الغـــارة التانيـــة بعـــدها بيـــوم خلصت على الباقي منهم....

وقفت أمامه بدهشة قائلا:

- أنـــت مـــش قـــولتلي كـــل الظبـــاط اللـــي فـــي القريـــة عـــارفين الممـــر والأنفـــاق، إشـــمعنا دا اللـــي اتهمـــوه بالخيانة ؟!

وضع ذراعه على كتفي قائلا:

- سـؤال ذكـي بـرده بـس مـا يجـيش منـك بمـا إنـك قولـت أنـا عـارف البـاقي يعنـي عـارف الجزئيـة اللـي دخـل فيها القرية باع أرضه وخد شوية الشباب هربهم،

أصـــابتني الحيـــرة مـــن معرفتـــه لهـــذه التفاصـــيل فرفعـــت كلتا حاجبي بذهول لأقول:

- أنت عرفت كل دا منين؟

تجاهل سؤالي للمرة الثانية وهو يوضح لي الأمر:

- اتهمـوه طبعًـا لأن أهـل القريـة مـا شـافوش غيـره مـن الظبـاط قبـل الغـارة، وتأكـدت شـكوكهم لمـا راحـوا مـالقوش عيلتـه ودا معنـاه أنـه كـان عـارف وقـرر ينقذ نفسه وعيلته ويسيب الباقي



الأمــور أصــبحت منطقيــة إلــى حــدٍ كبيــر ويبقــى الســؤال الأهم:

- طب هما خدوهم إزاي القرية ؟!

أجاب وهو يتأمل البيت بنظر ثابت

- بعــد شــوية ســنين كــدا بــدأت الحكومــة ببنــاء الثكنــات اللـــي تضـــررت فـــي الحـــرب وكـــان مـــن ضـــمنها الثكنـــة القريبـــة مـــن القريـــة إســـماعيل كـــان وصـــل لرتبــة لــواء وطلــب أنــه فــي آخــر خدمتــه يكــون هنــاك وفـــي يـــوم تعـــرض إســـماعيل لأزمـــة قلبيـــة لمـــا شـــاف أصـــحابه اللـــي مـــاتوا فـــي القريـــة واقـــف قدامـــه وهـــو رايـــح حـــد مـــن غرفـــة نومـــه اضـــطروا يـــودوه المستوصـــف اللـــي كـــان شـــغال لســـه وقتهـــا بيخـــدم الثكنـــة لحـــد مـــا يتنقـــل مستشـــفى كبيـــرة الخبـــر وصـــل لعيلتـــه اللـــي انهـــاروا كلهـــم وقـــرر الأخ فريـــد أنـــه ياخـــد أختـــه فـــاتن ويروحـــوا يشـــوفوا أبـــوهم ويفضـــلوا معـــاه لحد

مـــا يـــروح المستشـــفى فريـــدة أخـــتهم كانـــت لســـه والـــدة ولـــدها التـــاني ولجـــل حظهـــم الـــوحش الـــواد ابـــن فريـــدة ســـمع خبـــر تعـــب جـــده فاتســـلل واســـتخبى فـــي عربيـــة خالـــه عشـــان هـــو كـــان متعلـــق بجـــده جـــدا وجـــم ولاد إســـماعيل واكتشـــفوا فـــي نـــص الطريـــق إن الـــواد معـــاهم بـــس مـــا قدروش يرجعوا وكملوا طريقهم.

فضلوا جنب أبوهم اليوم دا لحد لما الظباط طلبوا منهم يروحوا قبل ما الشمس تغرب بس هما ما فهموش ليه ومن قلقهم على أبوهم اتأخروا هناك،

ولما الظباط زعقوا فيهم قعدوا في عربيتهم على أمل أنهم الصبح ينقلوه المستشفى بس الواد ابن اختهم كان جعان وعاوز ينام ومكنش في أي مكان يجيبوا منه أكل فقرروا يرجعوا يرجعوه لامه ويجوا تاني الصبح بس للأسف على ما جم يمشوا كان الليل ،هجم، أول ما قربوا في سكة القضيب اختفوا ماحدش عارف إيه اللي حصلهم وتاني يوم لقوا العربية بس الثلاثة مش فيها...

ثم أشار لي على البيت قائلاً:

- بص كدا

رفعت راسي للسماء السوداء التي تحيط المنزل فوجدتها تعج بالغربان ليخرجني العجوز من حيرتي قائلا:

- هما دول الأموات اللي بيحرسوا البيت ما حدش يقدر يقرب من هناك...

زفرت بضيق قائلا:

- طب والحل ؟

وقف أمامي يضيق عينيه متمتمًا:



- عند واحد بس

هززت رأسي باستفهام

- مين دا؟!

خطى أمامي مسرعًا وهو يقول:

- عمك إدريس

حاولت اللحاق بخطواته متسائلًا:

- مين عم إدريس ؟!

أخبرني وهو يمر في ممرات صغيرة تفصل بين كل شخص وعالمه

- عمك إدريس دا كان ساحر

ثم التفت نحوي يهز كفه وهو يبتسم

- بس كان شقي حبتين

ثم التفت مرة أخرى ينظر أمامه وأنا أحاول مجاراته

- يعني إيه شقي ؟!

تجاوز عدة ممرات وهو يُخبرني

- اتجوز جنية من ورا أهلها فأبوها طلع خبطه خبطة دخلته في غيبوبة، ومشرفنا هنا من كام شهر والدكاترة مش عارفين فاقد الوعي ليه مع إن كل أعضائه الحيوية شغالة هو مش محتاج لأي أجهزة

توقف أمام بركة ماء صافية تحوي مياه عذبة، يتوسطها كوخ خشبي كبير تساءلت بغرابة

- أحنا هنوصله كدا أزاي؟!

انحنى العجوز أمام البركة ليضع ذراعه بداخل المياه، لينزل بذراعه حتى تمدد ببطنه على الأرض وأنا أقف متعجبًا،

بعد لحظات بدأ يعتدل بجسده رويدا حتى عاد للوقوف وهو يمسك بيده حبل سميك ويشده للخلف حتى ظهر جسر صغير يتصل بالكوخ يربط بينه وبين اليابسة تقدم العجوز نحو الممر قائلا وهو يضحك:

- معلش عمك إدريس حويط شوية

وصلنا للكوخ لنواجه باب خشبي أسود ضخم، منقوش عليه دائرة منقسمة لتسع خانات كل خانة منقوشة بحرف غريب للغة أراها لأول مرة وحين وضعنا أقدمنا أمام الباب التفت الدائرة ثم اختفى الجسر من خلفنا ليخض جسدي وأنا أسمع سقوط الحبل السميك في الماء بقوة،

وقفت الدائرة عند الخانة المدون عليها رقم سبعة لينفتح الباب الخشب أمامنا دخل العجوز ينادي على عم إدريس الذي خرج لنا بوجه عابس ومتهجم رجُلٌ لم يقترب حتى من الخمسين في تحليلي، بجسده الرياضي الممشوق وذقنه المهذبة وملابسه الأنيقة، لينظر للعجوز بغضب



- إيه اللي جابك ؟
- ثم أشار نحوي ومين دا كمان؟ و جايبه تعرفه مكاني ويوصلي أزاي؟

وضع العجوز كفيه على كتفي إدريس وهو يقول له:

- ما تخافش يا سيدي دا تنويم مغناطيسي ومش هيجي هنا تاني

فرغ فاه وهو يقول باهتمام بالغ :

- بجد

العجوز عرف كيف يستدرجه اقترب إدريس مني يتفحص وجهي ليقول:

- وأنت إيه اللي خلاك تعمل كدا؟!

أجبته وأنا أنظر لعمق عينيه ذات اللون الغريب

- عاوز أدخل الزوارعة

عاد خطوة للخلف بذعر وهو يلوح يده يمينا ويسارًا:

- أنا ما ليش دعوة بيهم

ثم نظر للعجوز نظرة تحذيرية قائلًا:

- خده من هنا وامشي

وقبل أن يغلق بابه أمامنا وضع العجوز يده على حافته ودفعه ليدلف للداخل وهو يقول لي:

- تعالى يا كامل ما تتكسفش دا بيت عمك إدريس



كتمــت ضــحكتي رغمًــا عنــي ودخلــت خلفــه علــى اســتحياء متجاهلا نظرات إدريس النارية التي يرمقني بها،

وقفــت خلــف البــاب الخشــبي متصــلبًا عنــدما جــل بصــري على البيت من الداخل لأردد بدهشة:

- إيه المكان دا!

جــدران المنــزل الداخليــة كلهــا مــن الزجــاج، وكــل جــزء فيهــا منقــوش بــنفس الحــروف الموضــوعة علــى الــدائرة التــي علــى البــاب الخــارجي للمنــزل، بينمــا هنــاك علــى أرضــية المنــزل قــوارير زجاجيــة كثيــرة تمتلــئ بــنفس النقــوش مــن الخــارج بينمــا داخــل القــوارير تمتلــئ بســائل أبيض اللون،

وكــل هــذه القــوارير تلتــف حــول دائــرة منقســمة لــنفس الخانــات التســع الملتصــقة بالبــاب ولكــن نقوشــها هنــا مختلفــة عــن التــي بالخــارج خطــوت ســريعًا لأقــف جــوار العجــوز بينمــا انحنــى إدريــس ليأخــذ أحــد هــذه القــوارير يلفهــا بيــده ثــم هــز رأســه وكأنــه يبحــث عــن واحــدة محــددة انحنــى يُقلــب فــي القــوارير حتــى وجــد ضــالته فوقــف ليتوجه نحوي وهو ينظر لعيني لقد بدأت للتوا أخاف

التي رايتها في بادئ الأمر غريبة فقط !

لا هي الآن مرعبة من لون عينيه

قرب إدريس مني الزجاجة وهو يقول لي:



- امسك

رفعت كتفي دون أن أمد يدي لأسأله:

- دي إيه ؟!

دفعها نحوي وهو يرفع نبرة صوته

- امسك دي بقولك

نظرة نحو العجوز الذي أومأ برأسه يحثني أن أطيعه مع إيماءة أخرى بالا أخاف فهو لن يؤذيني أخذت منه الزجاجة وحين لمستها تحول اللون الأبيض للأحمر وبدأ السائل بداخلها يصنع فقاعات كثيرة كالتي تحدث في المياه الغازية أخذه إدريس سريعا من يدي بملامح مجعدة وهو يقول:

- روح شريرة ...

وقد بدأ يعود للخلف ليضع الزجاجة موضعها لأضيق عيني و بدأت دمائي الحارة تجري في أوردتي ليلاحظ العجوز غضبي فاقترب مني يمسك كفي وأنا أقول لإدريس بصوت عالي:

- أنا روح شريرة

وقف إدريس ينظر لي بعدم فهم وكأنه لم يقل شيئًا أو تعجب أنني سمعت ما بداخله ليشير بكفه على صدره قائلا:

- أنا قولت كدا



ضحك العجوز بشدة وهو يقول لي:

- ما تدققش يا ابني الظاهر الخبطة كانت شديدة عليه،

لم أقتنع بهذا الحديث واقتربت من إدريس الذي قال لي:

- أنا مكنتش أقصدك

شعرت بالملل من هذا المكان وقد استهلكني القلق من كل هذه الألغاز لأزعق به

- اليوم بتاعي قرب يخلص ومش هعرف أرجع تاني غير بعد أسابيع أنا عاوز أعرف أنتوا هتساعدوني ولا بتلعبوا بيا أنتوا الاتنين ؟!

أجابني إدريس بجدية وهو يعود للخلف ينحني ليبحث عن زجاجة أخرى:

- أنا مش عارف أنا ممكن أساعدك أزاي الموضوع مش سهل ومش بسيط البيت اللي هيدخلك على الزوارعة محروس من الأموات ودا معناه أن أي روح معلقة هتحتك بيهم أو هتحاول تقرب لهم هتتسجن هناك

ثم وقف وهو يحمل زجاجة أخرى بيده ولكنها صغيرة الحجم ليزيل عنها السدادة من فوهتها ثم وضع إصبعه الصغير داخلها وأغمض عينيه وهو يتمتم عدة كلمات



ثم أغلقها ثانية ليتحول لونها للأخضر وهو يكمل حديثه

- ولو حد فينا اتسجن هناك هيفضل كدا لا منه هيعرف يرجع جسمه المادي لعالم البشر ولا منه هيعرف يفضل هنا عايش بمزاجه ولا منه هيعرف يموت

ثم ناولني الزجاجة قائلا:

- أحنا هنا ما بنعرفش التوقيت لا معانا ساعات ولا حتى نقدر نعرف من الشمس أو النجوم لأن السما هنا بتاعتنا كلنا بنقسمها بمزاجنا اللي بيحب الليل واللي بيحب النهار وهكذا،

أخذت منه الزجاجة التي تحوي سائل أخضر اللون وأنا أقول:

- ودي اللي هتعرفني التوقيت

أومأ برأسه وهو يشرح لي دي هي اللي هتعرفك على الأقل إن وقتك هنا قرب يخلص دلوقتي باللون الأخضر ودا معناه أنك في أول ٦ ساعات من ال ٢٤ ساعة

- وإيه هما الثلاث ألوان الثانين؟!

سألته وأنا أتفحص الزجاجة بتعجب، ليجيبني



- أزرق أحمر أسود

وضـــعت الزجاجـــة فـــي جيبـــي وانـــا أقـــف أمـــام الاثنـــان أتسأل:

- وبعدين المفروض نعمل إيه دلوقتي ؟!

جلســا بجــوار بعضــهما ينظــر كــلا منهمــا للآخــر وأنــا أنتظر لحظات حتى تحدث العجوز قائلًا

- هو في حل واحد بس في مخاطرة عليك وعلينا

حركــت رأســي باســتفهام وأنــا أقتــرب منهمــا واضــعًا يــدي فــوق الأخــرى أمــامي وأنــا أحثهمــا علــى الحــديث ليعــاودا النظر لبعضهما حتى مملت قائلًا:

- أحنــا هنفضــل كــدا كتيــر مــا حــد فــيكم يــتكلم تنهــدا بقــوة وكأن الأمر خطر جدًا بالفعل

ليخبرني إدريس وهو يزفر بضيق:

- أحنـــا مـــش عـــارفين أنـــت ممكـــن تفهـــم الكـــلام دا ولا لاء

نظرت لهم بحنق فقال لي:

- الأمـــوات مـــش ســـهل خـــداعهم بـــس مـــش مســـتحيل، وأنـــا ممكـــن أخليـــك تـــدخل البيـــت ومحـــدش مـــنهم

يعـــرف يقربلـــك بـــس اللـــي معايـــا هيـــدخلك مـــش هيخرجك تاني

أنصت له بكل حواسي وقررت ألا أقاطعه ليكمل:

- مشـــكلة الزوارعـــة كلهـــا تـــتلخص فـــي إســـماعيل لـــو عرفنـــا نوصـــله ونفهـــم اللـــي حصـــل معـــاه ونعـــرف منـــه مـــين الخـــاين اللـــي عـــرف العـــدو بمكـــان الثكنـــة ممكن نعرف نخرجهم

انتظـــرت حتـــى ينتهـــي، فقـــام مـــن مكانـــه ليعـــود لزجاجاتـــه ثانيـــة يقلـــب فيهـــا ظـــل يبحـــث عـــن شـــيء فيهـــا ثـــم انتقـــل لمكـــان آخـــر حتـــى وجـــد مـــا يريـــد زجاجـــة بحجـــم كبيـــر ومختلـــف عـــنهم أجمـــع تحـــوي ســـائل نصـــفه الأســـفل أســـود والنصف الأعلى أبيض تقدم بها نحوي وهو يقول:

- بمـــا إنـــك أنـــت الوحيـــد اللـــي جـــاي بمزاجـــك فممكـــن تقدر تروح

اخـــتض جســـدي مـــن كلمتـــه لأردد بســـؤال يبـــدوا غريبـــا ولكنه منطقي:

- أروح لمين

أجاب العجوز هذه المرة ببساطة :

- لإسماعيل

رفعت كتفي باستفهام

- أروح له فين؟!

ناولي إدريس الزجاجة ذات اللونين وهو يقول بسلاسة حيرتني

- قرينه هيوديك ليه هو هيبقى عارف مكانه

شعرت بدوار شديد قلب معدتي رأسًا على عقب حتى كدتُ أن أسقط، اسندني العجوز ليقول لي إدريس

- كدا أول ٦ ساعات خلصوا

تعجبت كيف عرف فأخرجت الزجاجة لأجد لونها تغيير للأزرق

- عرفت منين؟!

تنفس بعمق وهو يغمض عينه :

- اعتبرها علامة بعتتهالك الإزازة اللي في جيبك عشان تعرفك الوقت

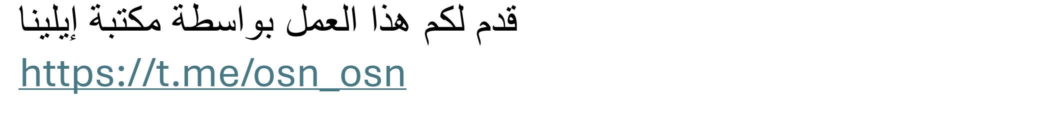
نظرت نحو العجوز الذي ما زال يمسك بذراعي:

- أنا مش فاهم حاجة هو إسماعيل لسه عايش ؟

سألني بخوف ظهر على ملامحه

- أنت كويس؟!

اكتفيت بإيماءة دون جواب لفظي لأنني بالفعل لست بخير داخل هذا العالم، ولا أعتقد أنني حين أعود سأكون بخير فالجهل بهذه الأمور نعمة كبيرة لم أدركها سوى هذه اللحظة،





جذبني العجوز بلطف للمقعد ودعاني للجلوس ليجلس هو أمامي بينما أغلق إدريس عينيه واستند برأسه على مقعده والتزم الصمت ليتنهد العجوز قائلا:

- أحنا بنقول أنه على الأغلب عايش زي ولاده بالظبط وهما بيحاولوا يفهموهم أنهم ماتوا

ارتبكت كثيرًا مما قال لأسأله بضياع ظهر على صوتي :

- هو أنت مش قولتلي أنه جاله أزمة قلبية لما شاف حد من زمايله اللي ماتوا ؟!

انزعج العجوز قليلا وبنبرة فيها بعض الشدة قال لي:

- يا ابني أنا قولتلك إن جاتله أزمة قلبية بس، ودخلوه العناية اللي في المستشفى القريبة من الثكنة يومها جه هنا و اتعرفت عليه وعرفت كل اللي قولتهولك بس وأنا معاه كان رجع ولما أنا فوقت من الغيبوبة بعد بفترة بسيطة بعت رجالتي يسألوا عليه فضلوا أكثر من أسبوع وقالولي أنه اختفى هو كمان

خللت أصابعي في رأسي بقوة وأنا أسأله:

- يعني جدي إسماعيل مع ولاده؟

هز رأسه نافيًا وهو يقول:



- لاء مش معاهم أنا متأكد وأنا مش عارف مين اللي خده وخده فين بالظبط

نظرت نحو إدريس الذي قال لي:

- السائل الأبيض هتشربه لما أندهلك قرينه السائل الأسود هيرجعك هنا تاني والوقت بين الاتنين هتحسبه لما لون سائل الوقت اللي في جيبك يتغير للأحمر

رفعت زاوية فمي قائلا:

- أنا لسه معايا حاولي ٦ساعات إلا دقايق لسه متحوله للأزرق يعني

أغمض عينه وعاد برأسه للخلف كما يفعل مرارًا:

- ما تحسبهاش بالعقل يا بشمهندس ما فيش هنا حاجة بتمشي على منطق ولا على عقل اسمع الكلام اللي بقوله وبس

زفرت بضيق من هذا العالم وهذا الشعور المقيت بالعجز والجهل فأنا دومًا كنت رجُلا يتبع المنطق والعقل ما الذي أدخلني في هذه الدوامة البغيضة رددت بقلة حيلة:

طب كدا أنا مش هلحق أرجع حتى أخرج فاتن من السجن اللي حابسينها فيه، ومختار قالي أني مش هقدر أرجع هنا قبل أسابيع، وأنا مش هعرف أعيش



كـدا ٣ أسـابيع كمـان أنـا حيـاتي خـلاص تـدمرت تـذكرت كـل مـا حـدث معـي وأنـا أشـعر بـالحزن يخنقنـي وكـأنني فتحـت لـه بابًـا للتنفـيس اهتـز جسـدي وبـدأت بحركـة عشوائية وأنا أفرغ كل ما بي من تعاسة

خطيبتـي سـابتني وليهـا حـق المفـروض أنـه فرحنـا كـان الأسـبوع الجـاي وأنـا لا بـرد عليهـا ولا علـى أهلهـا وخـلاص بقيـت بنظـرهم عيـل صـايع بلعـب ببنـات النـاس واهـرب قبـل الفـرح تكالبـت فـوقي الهمـوم وأكملـت بنبـرة تقطـر حسـرة قـدمت علـى إجـازة بـدون مُرتـب وبـدون ميعـاد للرجـوع وقفلـت كـل طريـق فـي وش زمـايلي وأصـحابي ومـديري يقـدروا يوصـلولي بيـه لـم أسـتطع الوقـوف بعـدما أفرغـت كـل مـا فـي صـدري فجلسـت أسـتند بظهـري علـى الأرض وأنـا أضـع كلتـا يـدي علـى رأسي متمتما:

هنـا بـين الرعـب والخـوف والترقـب لأي حاجـة ممكـن تحصل تخليني أفضل هنا لوقت لا يعلمه إلا الله،

ومحبـوس شـايل فـي جيبـي قنابـل موقوتـه وكـل قنبلـة فـيهم ليهـا تعليمـات وكلـه مـن غيـر فهـم ولا يتبـع المنطـق ولا العقل أمال يتبع إيه!

رفعـت رأسـي أنظـر إلـيهم فوجـدتهم يقتربـون منـي ليجلسـوا بجـواري، وضـع العجـوز يـده موضـع قلبـي وهو يقول:

- يتبع هنا



نظرت له بعينين زائغتين من التعب ليكمل:

- خليك ورا إحساسك يا كامل هو اللي هيوصلك،

بينما وضع إدريس يده فوق رأسي قائلًا:

- واتبع دا كمان

نظرت نحوه بتعجب ليقترب من أذني

- ذكاؤك اللي وصلك هنا مش مُختار، وذكاؤك اللي هيرجعلك حياتك كلها مش فاتن

فهم من نظراتي التائهة أنني لا استوعب ما قاله فأوضح أكثر

- مرواحك الزوارعة مش صدفة ولا رؤيتك للطفل الصغير صدفة ولا مجيت فاتن ليك كانت صدفة زي ما أنت فاكر، كل حاجة مترتبة وأنا واثق أنك هتعرف الحقيقة كاملة ولوحدك

حدثته بإنهالك

- ما أنا عارف أني شوفت الطفل دا عشان أخويا، وعارف إن فاتن جاتلي عشان عرفت اني شوفتهم وهي ما تعرفش أنها خالتي

ابتسم ابتسامة قريبة وهو يحني رأسه لجانبه وينظر لي بطرف عينيه ثم عاد يستند برأسه للخلف وهو مغمض العينين وكأن رسالته قد وصلت لي!



استمريت على هذه الحال لعدة لحظات أفكر بما قاله وأربط الأحداث بعضها ببعض لأقف بعدها ململًا شتات نفسي مستعدًا لباقي الرحلة نظرت لهما قائلًا:

- قرين جدي دا فين وأنا أروح له ؟!

فتح إدريس عيناه ينظر لي بجحوظ بينما رفع العجوز حاجبيه ثم نظر لبعضهما البعض لينفجرا في ضحك هستيري لا أعرف سببه،

استمريت على وقفتي أنظر نحوهما بذهول شرعا في الصمت وهما يرفعان كفهما أمامي اعتذرًا ليكرر العجوز في لحظتها سؤالي وينفجرا في ا الضحك مرة أخرى ضحكت رغمًا عني اقتداء بهما ليتحدث إدريس ومازال وجهه ضاحكا:

- قرين إيه اللي تروحله يا ابني هو واحد صاحبك بندلك عليه

ثم قام من مكانه يحاول استعادة جديته ثم خطى نحو الدائرة ليقف في منتصفها يتمتم بكلماته الغريبة

انحنى يأخذ زجاجة من تحت قدمه وهذه المرة الأولى التي لا يبحث فيها عما يريد.

فتح فوهة الزجاجة ثم نثر من سائلها حوله بشكل دائري وقف ثابتا وهو يقول مجموعة ترانيم بصوت



عـذب جعلتني مندهشا للغاية من طريقة إلقاءه التي امتعت أذني رغم جهلي بما يقول بدأ يخفض صوته رويدًا وهو يهز رأسه حتى صمت وكأنه يستمع لأحد عدة لحظات استمر بها على هذا الحال ثم أشار نحوي!

اقشعر جسدي وشعرت بهواء شديد السخونة يأتي نحوي ليأمرني إدريس بحزم روح معاه رددت بخفوت:

- أروح مع مين ؟

وضع إدريس كفه على وجهه بينما جاء العجوز جواري محافظا على مسافة كافية وهو يشير برأسه على جيبي هامسا:

- الإزازة.. السائل الأبيض

تمتمت «كم» أنا أحمق» وأنا أخرجها من جيبي شاربا ما بداخلها من سائل أبيض اللون،

أحسست بمعدتي تعتصر من الآلام فأغمضت عيني بقوة في محاولة مني !

لتحمل حتى شعرت بهواء شديد السخونة يلف جسدي بأكمله،

فتحت عيني سريعًا فلم أجد سوى الضباب من حولي!



ما هذا المكان الغريب درت حول نفسي لا أعرف أي اتجاه يجب على أن أسلكه وقفت موضعي وقررت أن أتخذ صوتي دليلا صرخت بكل ما أمتلك من قوة وأنا ألتف في المكان:

جدي.. جدي

إسماعيل

وفجأة سمعت صوت من خلفي ينهرني بغضب شديد

- أنت بتعمل إيه يا غبي

وحين التفت كان يغلفه الضباب ولكني وجدته يمسك بذراعي يجرني خلفه ويركض بكل سرعة يمتلكها حاولت مجاراته حتى انقطعت أنفاسي لأجد أن الضباب بدأ ينقشع أمامي وتتضح الصورة التي لم تكن سوى طريق طويل يسكن في عتمة ليل بهيم تتراص الأشجار على جانبيه وأكاد أرى موضع قدمي بكل صعوبة تمسكت في يد الرجل الذي لم أرى سوى ظهره الآن وتركته يقودني إلى المجهول بعد مرور وقت ظننته يومًا بأكمله توقف أمام بيت حجري ينتمي لحقبة بعيدة، التفت يشير لي أن أتبعه، برزت حدقتاي للخارج حين رأيته لأتمتم « هو » إسماعيل الذي رأيته حين كنت هناك يُخرج الشباب من القرية توقفت



للحظات أنظر لظهره الذي بدأ يختفي من أمامي وأنا أردد

- أزاي لسه شاب كدا!

رأيته يعود ليشير لي بغيظ وهو يلتفت نحوه فأسرعت من خطاي كي أتبعه للداخل لفت نظري شيئان في هذا العالم الغريب أن كل بيت أدخله خالي من الأثاث إلا من مقعد أو اثنين خشبيين وكل البيوت خالية من السقف سرت خلفه على ضوء القمر المنير فوقنا، لأرفع رأسي ناظرا بدهشة للسماء الطبيعية من فوقي بانبهار شديد وسؤال يتردد في عقلي :

- هل يعيش هذا الرجل على الأرض؟!

انتبهت فلم أجده فركضت كي ألحق به لأجده يدخل غرفة يتبعها ممر يتبعهم غرفة وكل الغرف فارغة،

توقف في الممر الأخير أمام حائط حجري ليعد ثلاثة أجحار من الجهة اليمين ووضع يده على الحجر الرابع وقبل الأخير ليحركه يمينا ويسارًا حتى انفتح الحائط أشار فدخلت خلفه لينغلق الحائط خلفنا ويزداد المكان ظلمة ..

فرقع بإصبعه ثلاث فاشتعلت مشعال خشبية قديمة كانت تصطف على الجانبين أنارت لنا المكان بأكمله،



كانت مجرد غرفة أخرى فارغة إلا من مقعدين وصندوق خشبي كبير يعتليه صندوق أبيض اللون الذي يحوي إسعافات أولية،

ورغم تعجبي وأسئلتي الكثيرة التي تداهمني إلا إنني قررت أن أصب تركيزي على ما جئت من أجله وخاصة بعدما تذكرت زجاجة الوقت أخرجتها سريعًا من جيبي أنظر إليها فوجدتها ما زلت زرقاء قائلًا:

انتبهت لإسماعيل الذي وجدته ينظر نحوي .

- أنت جاي منين؟ وعاوز مني إيه ؟

أجبته بتلهف واشتياق

- أنا حفيدك

ضيق عينيه بعدم تصديق لأثبت له أكثر

- أنا ابن فريدة الصغير

أضاء بنور مُحبب ليجرني لأحضانه وهو يربت على وجهه ظهري قائلًا:

- ياه أخيرًا . حد من ريحة الحبايب

شددت من احتضانه بلهفة حتى ابعدني عنه برفق وهو يدعوني للجلوس متسائلًا:

- أنت عرفت مكاني أزاي؟!

أجبته بتنهيده خرجت من أعماقي



- ياااه يا جدي دا قصة طويلة،

ثم رفعت زجاجة الوقت أمامه وأنا أخبره

- أول ما السائل دا يبقى لونه أحمر لازم أرجع

ارتسم الحزن على ملامحه الودودة والمألوفة لي، فأصابني الحزن على حاله هكذا وحال أولاده أمسكت بكفه أربت عليها وأنا أخبره

- أنا عرفت أنهم أخدوك من الزوارعة بس احنا هنا فين يا جدي ؟!

أجابني باضطراب:

- خدوني على بيت غريب كدا في مكان أغرب قرب بحر كبير

قاطعته متسائلًا:

- بيت خشبي لونه أسود بتحرسه الأموات على هيئة غربان هز رأسه بحماس

- أيوه هو دا، بس أنا هربت منهم

تهلل وجهي بسعادة، وأخيرًا سأعرف سبيل لدخول هذا المنزل:

- عرفت تخرج منه ، أزاي!

كاد أن يشرح لي ولكنه توقف وهو يهز رأسه

- أنت عاوز تعرف ليه ؟!



أجبته وأنا أنظر للزجاجة بيدي

- لأن دا البيت اللي هيدخلني الزوارعة

انتفض بفزع شديد يحذرني

- أنـــت اتجننـــت يـــا ابنـــي لـــو دخلـــت الزوارعـــة مـــش هتخرج

وقفت قبالته لأخبره بالحقيقة كاملة

- خـــالتي فـــاتن وخـــالي فريـــد وأخويـــا ســـالم محبوســـين هناك في الزوارعة،

أمسك بذراعي يهزها وهو يزعق بي:

- أزاي دا حصل ! أنت عملت ايه

حاولت تهدئته

- يـــا جـــدي أهـــدى أنـــا معملـــتش حاجـــة أنـــا كنـــت لســـه مولود

ضيق عينيه بتساؤل فأكملت:

- لمـــا جالـــك أزمـــة قلبيـــه خـــالي فريـــد أخـــد خـــالتي فـــاتن العربيـــة وجولـــك الثكنـــة يطمنـــوا عليـــك وينقلـــوك لمستشـــفى كبيـــرة أخويـــا ســـالم كـــان مســـتخبي فـــي العربيـــة وهمـــا مـــا يعرفـــوش ولمـــا لقـــوا حالتـــك مـــا تســـمحش قـــرروا يرجعـــوا ويرجعـــوا أخويـــا البيـــت



ويرجعولــك الصــبح بــس للأســف كانــت الــدنيا بقــت ليل واختفوا الثلاثة

سألني بحيرة:

- أنت عرفت كل دا أزاي

أجبته بنفاذ صبر وأنا اتطلع نحو الزجاجة التي بيدي

- عرفــت وخــلاص يــا جــدي خلينــا فــي المهــم أنــا عــاوز أعــــرف منــــك حــــاجتين بســــرعة جــــدًا عشــــان أقــــدر أساعدهم وأخرجهم من هناك

انصت لي باهتمام دون مقاطعتي

- هتقــولي مــين الخــاين اللــي عــرف العــدو مكــان الثكنــة وهتعرفني أدخل البيت أزاي

عــاد للخلــف خطــوتين وهــو يــدير لــي ظهــره وبكــل حــزن قال:

- مــــش هيصــــدقوك أنــــا حاولــــت قبــــل كتيــــر أفهمهــــم عشــان يســيبوني، وبعــد مــا الكــل يقتنــع ببرائتــي يجــي هالك يخليهم..

أوقفته سريعا عندما سمعت هذا الاسم:

- استنى گدا يا جدي مين هالك ؟!

استدار لي قائلا:



- دا الشيطان الكبير لو حد عرف يخلص عليه القرية كلها أرواحها هترتاح وتطلع للي خالقها واللي عايش زيينا هيرجع للدنيا، بس للأسف ما فيش أي طريقة أننا نخلص منه

اقتربت منه متسائلًا:

- يعني إيه ما فيش أي طريقة ؟!

رفع كتفيه ليخبرني

- بقالي سنين بحاول الاقي له طريقة مش عارف وللأسف مواجهته معناها الحبس في الزوارعة ودي حاجة الموت أهون منها

خللت خصلات شعري بأصابعي وأنا أشعر الحيرة والضياع

- طب والعمل أنقذهم أزاي دلوقتي ؟

أجاب باغتمام وحسرة

- أنا اللي ضيعت نفسي ودلوقتي بسمع إن أولادي معايا هنا وعاجز عن أني حتى أعرف أشوفهم،

أمسكت بكلتا كتفيه قائلا:



- يـا جـدي أرجـوك حـاول تتمالـك أعصـابك وتفكـر ممكن نعمل إيه ؟

نفض كفي عن ذراعه وهو يزعق بي:

- أنـا هنـا مـن وقـت مـا كنـت أنـت مولـود يعنـي مـن سـنين ، وعملـت كـل طريقـة ممكـن تتخيلهـا ومـا عـرفتش أنقـذ بـاي طريقـة مـنهم نفسـي تفتكـر هبقـى عارف أنقذ ولادي عارف أنهم هنا دلوقتي منك

رفعـت الزجاجـة التـي بيـدي لأنظـر إليهـا وأنـا ثقلـت أنفاسـي داخـل صـدري جلسـتُ علـى المقعـد وأنـا أهـز قـدمي بعنـف وأفكـر ماليـا لتبـدأ التسـاؤلات تحـاوطني واحد يلي الآخر لأدفعها كلها من فمي

- أحنـا هنـا فـين ؟ وليـه هنـا مختلـف عـن الأعـراف اللـي كنـت فيهـا؟ ومـدام أنـت لسـه عـايش هنـا يبقـى أكيد جسمك لسه في الدنيا!

جلس أمامي بضجر واضح وهو يجيب

- أحنـا هنـا فـي الأعـراف بـرده بـس مكـان مختلـف اكتشـفته لمـا هربـت مـن البيـت فضـلت أدور عـن أي مكـان سـري اسـتخبى فيـه ولقيـت المكـان دا وأنـا هنـا من يومها



نظر لي باستهزاء قائلا:

- وبعدين جسمي إيه اللي لسه على الأرض، دا زمانه اتحلل وكلت الدود يا ابني

حركت رأسي بعد اقتناع وأنا أقول له:

- لو كان جسمك اتحلل روحك كانت متطلع للي خالقها طول ما أنت هنا يبقى جسمك لسه موجود على الأرض وشغال

فكر في كلامي قليلا ليمزح قائلا:

- على كدا أنا عمري زمانه عدى ١٠٠ سنه وزيادة

ابتسمت نحوه مردد بمرح

- لاء هما ١٠٠ بس لسه في عز شبابك

أخذت نفس عميق وأنا أدلك رأسي بكفي في محاولة للخروج من هذا المأزق، لأجد زجاجة الوقت قد بدأت تتحول للون الأحمر تدريجيا من الأسفل أصابني التوتر الشديد وأنا أخبره

- أنا وقتي هنا خلاص بدأ ينفذ ومش فاهم ليه فيه وقت بينا مع اننا في نفس المكان

زفرت بضيق بينما بدأ يظهر على ملامح جدي الحزن الشديد لعجزه وقلة حيلته



أخرجـــت الســـائل أســـود اللـــون وقبـــل أن أتجرعـــه دفعـــة واحدة حاولت أن أطمئن جدي:

- ما تقلقش أنا هرجعلك تاني ومعايا الحل

ثم أمسكت كلتا كفيه أقبلهما لأعده:

- أوعدك

لحظـــات وأشـــتد الألـــم بمعـــدتي ولكـــن هـــذه المـــرة لـــم أغمض عيني كي أرى من الذي ينقلني وكيف؟

عـــاد الضـــباب وفجـــأة ارتطـــم جســـدي بجســـم صـــلب تجعـــدت ملامحـــي بـــألم مـــن الاصـــطدام ليـــأتين صـــوتهم مـــن بعيد

- ها عملت إيه ؟!

بينمـــا أخـــذ الأخـــر بيـــدي وأنـــا لا أرى شـــيئا ســـوى الضـــباب أغمضـــت عينـــي أفركهمـــا بتعجـــب لأفتحهـــا مـــرة أخـــرى فوجـــدت الغمامـــة قـــد انقشـــعت وظهـــرت الصـــورة بوضـــوح، لقـــد عـــدت لبيـــت إدريـــس أرخيـــت جســـدي المجهـــد علـــى المقعـــد وقصصـــت علـــيهم مـــا حـــدث معـــي وعنـــدما انتهيـــت والاثنـــان ينظـــران لبعضـــهما الـــبعض بارتباك واضح سألتهما:

- أنـــا عـــاوز أفهـــم حـــاجتين.. الأولـــى أزاي الوقـــت عـــدى هنـــاك بالســـرعة دي مـــع انـــي فـــنفس المكـــان ؟! والتانيـــة والأهـــم أنـــا لا شـــوفت القـــرين بينقلنـــي ولا شـــوفت المســـافة كـــل اللـــي شـــوفته ضـــباب فـــي رحلـــة ذهابى وفى رحلة عودتي!



أجابني العجوز على سؤالي الأول:

- الوقت ما اختلفش الفرق دا مش للمسافة الفرق دا تمن

دققت بعينه لأحاول فهم ما يقول فابتسم ليكمل :

- أيوه وقتك هنا يسوى كتير وأي خدمه إضافية هتطلبها هتدفع تمنها من وقتك

رددت بمنطقية كعادتي

- طيب وأنتم ؟!

أجابني إدريس هذه المرة بملامح متهجمه كعادته

- لو كان عندنا وقت له تمن كنا بقينا ملوك في العالم دا زي هالك كدا...

وقفت لأستوقفه عند هذا الشخص فأكمل وهو يشير لي أن أجلس ثانية سؤالك الثاني إجابته زي الأول عاوز مميزات زيادة هتدفع وقت ووقتك المحدود اللي بتيجي هنا فيه باردتك هو دا اللي له تمن لكن وقتنا هنا مفتوح وبغير إرادتنا عشان كدا مالوش قيمة،

اتبعه العجوز بملاحظة مهمة :

- قيمتنا هنا في المعرفة والأدوات لكن من غير حد ينفذ زي عدمها،



اتضحت الأمور بالنسبة لي وخاصة عندما تذكرت حديث مختار وإصراره أن أجد حلا قبل أن أعود لأنني لن أستطيع العودة قبل مدة كبيرة، وهذا يدل على قيمة الوقت هنا...

ويأتي وقت السؤال الأهم:

- مين هالك إلا كل اللي يشوفني يحذرني من مواجهته وسلطته إيه في العالم دا عشان يعمل كل دا؟

ضيق إدريس عينه ثم تطلع للعجوز الذي بدوره حدق به ثم نظر لي قائلا:

- هالك دا كان شاب روحاني من أعظم الروحانين في البلد، اسمه على الأرض يعقوب وصل لسر الوقت هنا وقيمته فقرر يستغل أرواح الزوارعة اللي كانت هايمة في القرية بتدور على الانتقام وخلاهم عبيد ليه مقابل أنه يحقق لهم انتقامهم من الخاين

شعرت بدوار يجتاحني يتبعه اعتلال في جسدي لم أعد أتحملـه حاوط جسدي بكلتا ذراعي وأنا اسأله بوهن شديد:

- وهالك ولا يعقوب دا إيه المخيف في مواجهته مدام هو شخص زيي زيه ؟!



علا صوت إدريس وهو يوبخني

- يا ابني أفهم بنقولك مسيطر على أرواح الأموات ودول ما بيهزروش لو اتعرضت لهم هياخدوك وهتفضل روحك كدا متعلقة لا منك ميت ولا هتبقى حي ودا أسوء عذاب ممكن تعيشه

وضع العجوز كفه على قدم إدريس وهو يهمس له:

- براحه عليه شكله تعبان قوي

وقفت اترنح وأنا أحاول إخبارهم على حل فكرت به وإمكانية تنفيذه ولكنني سقط مغشيا علي ولم أدري ما يحدث حولي لمدة لم أحصيها ، استفقت في سيارة مختار وهو يوقظني أن أساعده في محاولة منه لحملي كي أنزل من السيارة وأصعد لشقتي !

لحظات قضيتها تاركا له جسدي يحركه كيف يشاء حتى وصلنا أمام باب الشقة الذي أخرج هو مفتاحه من جيبي

وفتح الباب وهو يجرني نحو الأريكة حتى وضعني عليها وأنا لا أملك من نفسي سوى إدراكي بما يحدث حولي سمعته يطلب طعام كثير ويملي عليه العنوان، ثم اتبعها بمحادثة أخرى لصيدلية وأملى عليها عدة أدوية عرفت الكثير منها ثم ترك الهاتف وجاء بجواري وهو يحمل زجاجة ماء ويطلب مني أن أشربها كاملة بالفعل كنت أشعر بالعطش الشديد

ولكنـــي لا أملــك حتـــى بعضًـــا مـــن القـــوة لأحمـــل الزجاجـــة فارغة،

فهـــم مختـــار حـــالتي وأنـــا أتطلـــع للمـــاء دون حركـــة، فقـــام بإســـنادي ووضـــع الفوهـــة علـــى فمـــي ولـــم أتركهـــا إلا وهـــي فارغة،

جلـــس بجـــانبي وهـــو يحـــدثني عمـــا أشـــعر بـــه مـــن إعيـــاء وإن كـــل هـــذا التعـــب ســـيزول فـــي خـــلال أيامًـــا قليلـــة وبعض الأعرض ستستمر حتى تنتهي الثلاثة أسابيع.

ورغـــم عـــدم قـــدرتي علـــى فـــتح فمـــي حتـــى حتـــى إلا أنـــه أثـــار انتبـــاهي فـــي نطـــق أســـماء الأدويـــة بهـــذه الطلاقـــة، فسألته وأنا أتكبد عناء الحديث

- هو أنت معاك شهادة إيه ؟!

ليصيبني الاندهاش حين أخبرني

- أنا طبيب بشري متخصص في الباطني والقلب

لـــم أســـتطع حتـــى الابتســـامة ولـــم أقـــدر علـــى ســـؤاله ومـــا الـــذي جعلـــك تتجـــه لهـــذا الطريـــق اكتفيـــت بمـــا عرفتـــه وتركـــت جســـدي يرتخـــي علـــى أريكتـــي لأتمـــدد وأغمـــض عينـــي ف ذاهبًـــا فـــي عـــالم الأحـــلام الغريبـــة التـــي لـــم تكـــن ســـوى لقطـــات لكـــل مـــا رأيتـــه فـــي الأعـــراف لأســـتيقظ مفزوعـــا حـــين وقـــف أمـــامي بوجـــه أســـود اللـــون وأســـنان بـــارزة للخـــارج وعينـــاه حمـــراء قاتمـــة تميـــل للســـواد ينظـــر لـــي بحنـــق شـــديد انتفضـــت مـــن مكـــاني وأنـــا أتصـــبب عرقـــا لأجد مختار أمامي يربط على كتفي قائلا:



- ما تقلقش دا طبيعي في أول مرة

ثم تركني ليفتح علبة الطعام ويعطيها ليزقائلًا:

- يــلا كــل عشــان أديــك دوا هيرجعــك أحســن مــن الأول على بكرة كدا إن شاء الله

بالفعــل كنــت جائعــا للغايــة، معــدتي بــدأت بالاســتغاثة لتذكرني مؤخرًا أن لي جسد يجب أن أعتني به **!**

كــان مــذاق الطعــام رائعًــا للغايــة فالتهمتــه وكــأنني لــم أكــل مــن قبــل أنهيــت الطعــام وشــعرت بتحســن مقبــول ليتــرك مختــار طعامــه ويناولني الــدواء الــذي طلبــه لــي أخذتــه دفعــة واحــده وشــربت الكثيــر مــن الميــاه ليقــدم لــي كوبــا كبير من الورق وهو يقول:

- مــا عــرفتش اســتخدم مكنــة القهــوة بتاعتــك فطلبتلــك نسكافية

تعجبــتُ مــن اهتمامــه الكبيــر هــذا ولكنــي ابتســمت لــه بــوهن وشــكرته علــى هــذه الرعايــة ظــل جالسًــا أمــامي صــامتا تاركــا لــي مســاحة خاصــة لأقــص لــه مــا حــدث حــين أشــعر أننــي أصــبحت بخيــر رائحــة القهــوة الســريعة تســللت إلــى أنفــي، ليصــعد طيــب أثرهــا لعقلــي الــذي بــدأ ينتبــه ويفــوق بعــد عــدة رشــفات تجرعتهــا بــنهم، تركــت الكوب يدفئ يدي وسألته دون مقدمات:

- أنا رجعت أزاي



ترك كوبه على المنضدة بجواره مجيبًا وهو يذم شفتيه

- مش عارف.. أنت اللي المفروض تقولي

تذكرت الزجاجة الصغيرة فتركت الكوب من يدي لأبحث عنها في جيبي فلم أجد شيئا سألني مختار عما أبحث فقصصت عليه كل ما حدث معي هناك منذ أن ذهبت تعجب كثيرًا من استطاعتي لمقابلة إسماعيل، وأندهش أكثر من مساعدة العجوز والساحر لي دون مقابل شعرت بالإرهاق الشديد من كثرة الحديث، وشعر مختار بالتعب هو الآخر، فاستأذن ليغادر ولكنني عرضت عليه خوفًا من أن يفتعل حادث بمظهره المزرى المبيت معي وعيناه المنغلقتان لم يعترض كثيرًا على عرضي وأصر أن ينام على الأريكة المطوية قمت بفردها له ودخلت غرفتي التي شعرت حينما خطوت بداخلها أنني أشتاق إليها وكأنه مر زمن طويل وأنا خارجها،

فلم يكن سوى أربع وعشرين ساعة فقط، أحسست أنها شهور ارتميت على سريري وأغمضت عيني لأرى ومضات كثيرة منها رأيته بعيني ومنها لا أعرف مصدره ولكنني أدركت بعد مرور عدة دقائق أنها مترابطة فتحت عيني محلقا في سقف الغرفة لا تحيد بينما عقلي فوضى عارمة مكثت كذلك على وضعي ثابت حتى أشرقت الشمس،

قمت من فراشي قاصدًا دورة المياه لأستحم علني أشعر بقليل من الانتعاش الذي سيجعلني أرتب أوراقي بطريقة صحيحة هذه المرة أنهيت حمامي بشعور ممتاز جعلني أستعيد الكثير من صحتي

ثم تسللت للخارج فوجدتُ مختار ينام قرير العين بعمق غريب سحبت مفاتيح سيارته التي وضعها أعلى المنضدة وخرجت من الشقة بهدوء قاصدًا مطعمي الخاص لأتناول به وجبة فطار دسمة وكوبًا كبيرًا من قهوتي الخاصة وأمضي في طريقي الذي رسمته مسبقا...

مرت عدة ساعات انهيت بها خطتي وعدت للمنزل أحمل بيدي فطور مختار فتحت باب الشقة وأنا أظن أنه فاق منذ كثير ولكني تفاجأت حين وجدته نائما كما هو،

لا أنكر سعادتي أنه لم يشعر بغيابي ولكن شعوري بتعب جسدي من الداخل والخارج مازال مستمر ايقظته ليتناول وجبته ويخبرني عن علاجي الذي يجب أخذه الأن

حين استيقظ أعتذر لي عن نومه الكثير هذا وقام ليستحم هو الأخر بعدما أخبرني بالدواء،

تناولت دوائي وجلست على المقعد أنتظره حتى خرج من دورة المياه وانهى إفطاره وبدأ في شرب فنجان القهوة لأفاجئه بقراري:



- أنا قررت أني خلاص مش راجع الزوارعة دي تاني ومش هنقذ حد وهرجع لحياتي الطبيعية وأنت هتساعدني على كدا

ترك فنجانه وقد تغيرت ملامحه التي كانت هادئة منذ ثوان لتصبح الآن ثائرة بغضب حاول هو التحكم به وهو يقول:

- هو كان لعب عيال ولا إيه؟!

لم أعترض على إهانته بل اكدت له ذلك بقولي:

- تقدر تقول كدا

صك أسنانه بغيظ قائلًا:

- بلاش اتفقنا.. طب وأهلك هتسيبهم كدا لا منهم عايشين ولا منهم ميتين ؟

حركت رأسي بلا مبالاة قائلا:

- أهلي اللي عرفتهم من يومين ولا قاصدك أمي اللي أول ما شفتني قالتلي رجعلي أخواتي وأبويا! يا باشا قول كلام غير دا

ثم وقفت معبرًا عن إصراري :

- هتساعدني ولا أشوف روحاني غيرك؟!

وقف أمامي وأنا أشعر أن جسده بأكمله محتقن وليس وجهه فقط هو الذي ينضج بالغيظ:



- أنت عاوزني أساعدك أزاي مش عاوز تنقذهم دا اختيارك وأنت حر لكن انا معنديش حاجة أقدر أساعدك بيها أو أضمنلك ان هي مش هتظهرلك تاني أو أنك هتعيش حياتك زي ماكنت من أسابيع فاتت

جلست مرة أخرى ولكن هذه المرة اسندت ظهري للخلف ورفعت كلتا قدماي أعلى المنضدة وأنا أخبره

- هي خلاص مش هتظهرلي تاني لأنها محبوسة وحياتي أنا كفيل أرجعها أحسن مما كانت

ضرب كفيه ببعضهما وقد بدأ صوته يعلو

- أنت إيه اللي جرالك يا كامل

رفعت كتفاي بلامبالاة وأنا أردد:

- جرى إني تعبت وخلاص الموضوع مش فارق لي

لم يجد ما يقوله فأسرع خطواته ناحية الباب بغضب شديد وهو يقول لي:

- تمام.. مدام دا اختيارك اتحمل بقى اللي هيحصل

وقفت بغيظ وأنا أقول له:

- أنت بتهددني يا مختار

فتح باب الشقة ليخرج منها وهو يقول:





- أفهمها زي ما تفهمها

ثـم صـك البـاب خلفـه بقـوة كـادت أن تحطمـه لـم أهـتم لمـا قالــه ودخلــت غرفتــي لأقــوم بـــبعض المكالمـــات المهمـــة، وبعـــد أن انتهيـــت جلســـتُ أخـــرج تصـــاميم بيتنـــا الجديـــد أنـــا وعلا بعدما تركت كل شيء وركضتُ خلف الأوهام

أمضـــيت بعـــض الوقـــت فـــي المحادثـــات الجماعيـــة علـــى غـــرف الاجتماعـــات الخاصـــة عبـــر الإنترنـــت مـــع مهنـــدس التنفيـــذ والعمـــال الأساســـيين كـــي ينتهـــوا مـــن التشـــطيبات والفرش قبل نهاية الشهر الجاري،

لـــم أشـــعر بمـــرور عـــدة ســـاعات وأنـــا جـــالس فـــي غرفتـــي أنهي أعمالي الخاصة،

وقفــت أمــط عظــامي التــي المتنــي مــن الجلــوس هكــذا، وقــد جـــاء ميعـــاد آخـــر مكالمـــة هاتفيـــة أمســـكت هـــاتفي بقلـــب يخفـــق بشـــدة ويـــدان ترتعشـــان مـــن القلـــق ثـــم ضـــغط زر الاتصـــال علـــى اســـمها الـــذي طالمـــا أثـــار ظلمتـــي انتظـــرت خلـــف الهـــاتف أســـتمع لصـــوت الجـــرس المتتـــابع وقـــد بـــدأت بـــالتعرق ودقـــات قلبـــي تزيـــد مـــن وتيرتهـــا لأشـــعر بـــتقلص معـــدتي يتصـــاعد كلمـــا زاد وقـــت الانتظـــار فقـــدت الأمـــل مـــن إجابتهـــا وأخـــذتُ نفسًـــا عميقًـــا أحـــاول بـــه أن أطمـــس شـــعوري بالخـــذلان الـــذي بـــدأ يســـيطر علـــي وقبـــل أن أترك الهاتف رأيته يضئ باسمها،

لـــم أصـــدق عينـــي لثـــواني معـــدودة قبـــل أن أرفـــع الهـــاتف لأجيـــب عليهـــا بصـــمت مطبـــق، لتقابـــل هـــي صـــمتي

بصمت أخر وتنهيدات قاتلة ومهلكة لأعصابي قررت قطع هذا السكون القاتل المهلك لأعصابي قائلا:

- وحشتيني

انتظرت لحظات لم أسمع بها سوى شهقات خفيفة كانت تمزق نياط قلبي لم أتحمل حزنها هذا كثيرًا وأخبرتها:

- ممكن تقولي لماما وبابا إني جيالكم دلوقتي

سمعت نفسًا عميقًا منها وكأنها تحاول استجماع قوتها قبل أن تجيب بصوت خافت

- اتفضل

ابتسمت على هذه المبادرة وفرحت بموافقتها كثيرًا وهنئت نفسي على ذكائي وشعوري أنها لم تتركني بعد كل ما فعلته كان مجرد ثأر لكرمتها، وضعت يدي على قلبي الهادر كي يهدئ قليلًا وأنا أقول لها:

- مسافة السكة

قبلت الهاتف بشوق كبير فقد كنتُ متلهف بشدة لسماع صوتها، تأنقت بألوان ملابس تحبها وارتديت الساعة التي أهدتني إياها، ووضعت عطرها المفضل وانطلقت لأبحث عن سيارة أجرة تقلني إلى بيتها وأنا أتوق لرؤية وجهها المحبب،

تعكر صفوي وأنا أتذكر سيارتي التي ما زالت في القرية الملعونة ويجب علي أن أرجعها بأية طريقة



نفضت رأسي من هذه الأفكار وبدأت بترتيب أعذاري وحاولت إيجاد كلمات مقنعة تجعلها هي وعائلتها يصفحون ويتجاوزون فعلتي ولكن علي أولا أن أكون صادقًا،

لفت انتباهي متجر الحلوى المفضل لدى علا، أوقفت السائق على الفور ونزلت ابتاع لها كعكتها التي تحبها كثيرًا،

عدت للعربة ووصيت السائق أن يقف عند أي متجر لبيع الورود وبالفعل بعد دقائق وقف عند أحدهم،

اشتريت لها باقة زهور من البنفسج والفل، الزهرتان اللتان تعشقهما،

نظرت نحو الباقة وقالب كيك الجبن بصوص الفراولة بإعجاب كبير ستسامحني علا وتطلب المأذون على الفور حين تراهم وهي سعيدة بما اشتريته لها

ابتهجت ملامحي وأنا أتخيل ملامحها التي لم أرى بجمالها!

وصلت منزلها وقد بدأت أتوتر من هذه المقابلة صعدت الدرج أحمل بكلتا يدي الهدايا وطرقت الباب و انتظرت قلبي بدأ يدق سريعًا وبقوة حتى فتحت هي لي،

كانت ملامحها متوترة للغاية وبدأت تنظر حولها لتقترب مني بريبة سريعًا تهمس قُرب أذني:



- أنا ما قولتش لماما وبابا إننا سيبنا بعض أنا قولتلهم إنك مسافر مأمورية واتصالاتنا ضعيفة وأول ما ترجع هتقابلهم

جعدت حاجبي وأنا أنظر لوجهها ثم اقتربت منها وبصوت خافت قُرب أذنها حدثتها:

- أولا أحنا ما سيبناش بعض أنتِ اللي سبتيني واتخليتي عني في اكثر وقت كنت محتاجك تفهميني فيه ثانيا أنا ما بحبش الكذب ثالثا ودا الأهم أنت عرفتي منين إني راجع

ابتسمت بخجل ليحدثها والدها

- مين يا علا؟!

ارتبكت وعادت للخلف لتجيبه

- دا كامل يا بابا

لتشير لي بالدخول أسرع والدها نحوي ليُرحب بي بود كبير وهو يقول لها:

- خدي الحاجة من إيد خطيبك يا بنتي مالك ملبوخة كدا

ضحكت بصوت مكتوم لتأخذ مني الزهور بيد مرتعشة وباليد الأخرى أخذت قالب الكيك ثم ليسلم والدها علي بحرارة ويحتضنني

اختفت من أمامي دوما أشعر بينهم بشعور الدفء الخاص بالعائلة، هاجمتني ومضات من لقاء عائلتي



الأصـــلية التـــي لـــم أر مـــنهم ســـوى الـــدمار والســـحر والمـــوت حركـــت رأســـي بقـــوة كـــي أنفـــض هـــذه الـــرؤى عنـــي، ليتقـــدمني الرجـــل نحـــو غرفـــة اســـتقبال الضـــيوف وهـــو يـــدعوني للجلـــوس مـــرت الزيـــارة علـــى خيـــر بـــل أفضـــل ممـــا كنـــت أتوقـــع أو حتـــى أتخيـــل لتنتهـــي زيـــارتي بتحديد موعد للزفاف في غضون شهرين من الآن

ثـــم اســـتأذنت الرجـــل فـــي الخـــروج بابنتـــه لتنـــاول العشـــاء في الخارج،

وافـــق بترحيـــــب وأخـــــذتها وذهبنـــــا لمطعمنـــــا المفضـــــل تنفست الصعداء وأخيرًا صرنا بمفردنا...

جلســـنا حـــول الطاولـــة متقـــابلين وطلبـــت طعمنـــا المعتـــاد ثـــم اقتربـــــت بجســـــدي لأشـــــير إليهـــــا أن تتقـــــدم منيظضـــــمت حاجبيهـــا وزمـــت شـــفتيها بمنظـــر طفـــولي أعشـــقه منـــذ أن رأيتهـــا بـــه أول مـــرة وهـــي : تحـــدث أحـــد زملائـــي وهـــي غاضبة من تأخيره في تصاميم مشروعها الجديد

ابتســـمت رغمًـــا عنـــي وأشـــرت لهـــا ثانيـــة بإصـــرار أن تقتـــرب زفـــرت بضـــيق وهـــي تفعـــل ذلـــك لتنتظـــر مـــا الـــذي أريده قوله وهي بهذا القُرب لم تتوقع أن أقول لها:

- بحبك

حاولـــت كـــتم ابتســـامتها الفرحـــة بينمـــا تـــوردت وجنتيهـــا بحمرة لطالما ذبت بها،

وقبل أن تعود لتعتدل في مقعدها أخبرتها:



- بس مش مسامحك على اللي عملتيه معايا

احتقن وجهها وكادت ان تنطق بعتب فأوقفتها:

- تحبي تعرفي أنا كنت في إيه؟

تنهدت بألم شعرت به واضحًا جليا لتتحدث لأول مرة منذ خرجنا من بيتها

- أوعى تفتكر يا كامل إني قررت أنفصل عنك عشان بعدت أنا خدت القرار دا لما بدأت تكدب عليا وما تقوليش على اللي بتعيشه وأنت عارف كويس أني مستعدة أواجه معاك أسوء حاجة ممكن تقابلها في حياتك بس على شرط تكون أنت اللي عاوز كدا

لم أستطع الرد عليها فهي تملك كل الحق فيما قالت فأنا بالفعل أبعدتها ولكن خوفًا عليها ورغبة في عدم إقحامها في أمور لن تستطيع مواجهتها ولكني أخطأت فأنا لن أمر من هذه اللعنة دونها،

جاء النادل بالطعام ووضعه أمامنا ، فنظرت لعينيها التي ما زالت تطلع لي بعتاب قاس جعلني أرفع رايتي قائلا:

- طيب يا ستي وأحنا بناكل هحكيلك كل حاجة وبعدها هقولك تساعديني أزاي بس لازم توعديني،

هزت رأسها بتساؤل:

- اللي هطلبه منك مش هيبقى سهل هتوعديني إنك مش هتجازفي مجرد ما تحسي انك مش قد المطلوب هتقوليله مش هقدر أوعدني إنك هتتخلي عن جرائتك عشان سلامتك عندي أهم من روحي

تخيلت أن أشعر من نظرتها بالقلق من حديثي ولكنها علا دوما عكس توقعاتي!

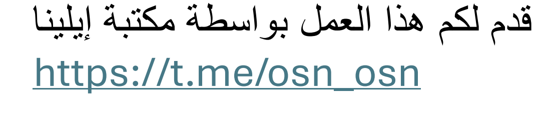
تحمست للغاية وظهر هذا الحماس على ملامحها المترقبة وعينيها اللامعة وجسدها المتحفز بكل ذرة به وهي تقول لي:

- أوعدك بس قولي بسرعة يا كامل إيه اللي حصل، وأقدر أساعدك أزاي..

استمرينا في هذه المقابلة ثلاث ساعات متواصلين لم نشعر بهما على الإطلاق حتى هاتفني والدها أن أعود بها للمنزل وبنبرة حادة قال لي:

- ينفع كدا الساعة بقت ١١

اعتذرت منه وغادرنا المكان أنا و علا قاصدين منزلها أوصلتها وعدت لشقتي التي حين دلفت داخلها اقتحمت أنفي رائحة غريبة أقشعر جسدي على إثرها أنفي امتلأ برائحة المكان الكريهة وعقلي أبى أن يتجاهل الأمر..





عيناي بدأت تعيد كل ما رأيته في الأعراف فور إغماضهما وكأن هذا الشعور المقيت التي قد أعادته لي هذه الرائحة يأبى أن يتركني وشأني،

دلفت لغرفتي مُسرعًا وبدلت ثيابي واستسلمت للنوم رغمًا عني هروبا من استرجاع ما مضى

غفيت حتى انتفض جسدي عند سماع صوتها الرنان القادم من الموت...

ورائحتها التي تشبه مكان سكناها اقتحمت أنفي بقوة لم أستطع نفتها انتفضت من موضعي لأجدها تقف أمامي مضطربة وجسدها ينتفض برعب ظاهر ارتعش جسدي وتعالت نبضات قلبي المرتعب لأسالها وأنا ألهث كأنني في سباق للعدو:

- أنت خرجتي إزاي؟!

هزت رأسها بتوتر وتساقطت دموعها بغزارة ومن بين شهقاتها أخبرتني:

- هربت عشان أجيلك أحذرك وأطلب منك آخر طلب يا كامل

انتظرت حتى تكمل وأنا أحاول لملمت شتات نفسي:

- هالك عرف إنك كنت في القرية ومش ناويلك على خير وكنت عاوزة أترجاك تحاول تلاقيلنا



حل أنا معنديش حد غيرك أعرف أروحله، أرجوك يا كامل ساعدنا ...

توقفت عن الحديث وزاغت عيناها بذعر واضح ثم أعادت النظر نحوي بهمس قاتل

- لازم امشي بسرعة دلوقتي..

اختفت من أمامي كعادتها وصوتها يتردد في البيت بصدى ترتعد له أوصالي ككل مرة تحدثني بها :

- أنا خايفة عليك يا كامل أوعي تفكر ،تواجهه

جسدها صادق وعينيها مختلفة بدت أمامي كتلة هلع تتجسد في جسم أنثوي بهيئة مرعبة قد بدأت الاعتياد عليها،

جبت الغرفة ذهابًا وإيابًا وكدت أن أمزق خصلات شعري بعدما توقف عقلي تماما عن العمل،

لقد عدت لحياتي السابقة ولا أريد أن أقحم نفسي في هذا العالم، وحتى لو أردتُ العودة فقد أخبرني « مختار» أنني لن أستطيع قبل ثلاثة أسابيع،

فأنا هنا منذ أربع وعشرين ساعة فقط، وبالفعل جسدي لن يتحمل السفر لبعد آخر الآن !

رددت بقلة حيلة:

- ما فيش قدامي حل تاني لازم أنقذهم عشان أعرف أعيش حياتي..



وقبل أن أخرج من منزلي متوجهًا لمختار كي ينقلني إلى هناك تضاعف إحساسي بعدم عودتي لعالمي هذه المرة كثيرًا عن المرة الأولى وبت أجزم أنني سأسجن هناك وخاصة بعد تحذير «فاتن» جلست على المقعد خلفي أخرجت هاتفي مقررًا وعازمًا أمري أن أسجل حكايتي وما حدث معي حتى الآن وسوف أكمل ما سيحدث في تسجيل صوتي آخر وبطريقة ما إن لم أعد سأرسله لأحدهم حتى يعلم الجميع عن هذا العالم الخفي علني أستطيع العودة بشكل أو بآخر!

*****

أنهيت قصتي ووضعت التسجيل على أحد الأزرار القريبة من يدي، وانطلقت نحو مكتب مختار...

طرقت بابه لأجده يفتح لي بابتسامة وكأنه كان ينتظرني لم يتحدث معي وأشار لي أن اتبعه للداخل، تبعته وأنا أقص عليه ما حدث وأشاهد نظراته الشامتة وعبارة **«ما أنا قولتلك هتحتاجني»** تتراقص على ملامحه بعبث لم أعر هذه الرسائل اهتمامًا وأكملت له ما حدث حتى تغيرت ملامحه عند طلبي:

- أنا عاوزك ترجعني تاني

صاح بي بغضب وهو يشير لي بطول ذراعه:

- أنت اتجننت
- أنا مش مستعد لو عاوز تموت روح موت نفسك بعيد عني أروح في داهيه بسببك





شعرت بالغضب الشديد وهتفت به وأنا أضرب مكتبه بكلتا يدي

- أنت عاوز إيه بالظبط لا عجبك أني أقولك خلاص مش راجع وهبعد وساعدني أخلص منهم، ولا عجبك أقولك رجعني خليني أنقذهم وأخلص من اللعنة اللي هتضيع حياتي تاني بعد ما بدأت أصلحها، أنا ما بقتش فاهم حاجه

أجابني بغموض لم أحبه أبدًا:

- ما هو أنت فعلا مش فاهم

جلست أزفر بضيق:

- طب فهمني أنت عاوز إيه ؟!

بدأ يطرق على مكتبه بحركة رتيبة ومتتابعة وهو يقول لي:

- وقت ما رجعت مكنش عندك طاقة جسدية بس كانت طاقتك الروحية عالية جدًا، وبتفضل عالية كدا حوالي ١٢ ساعة من رجوعك

حركت رأسي بعدم فهم مرددا،

- والتخاريف دي . معناها إيه ؟!

نفث في وجهي بحنق:



- بعد كل اللي شوفته دا لسه بتقول تخاريف

لم ينتظر ردًا مني وأكمل:

- التخـــــاريف دي معناهـــــا إن وقتهـــــا كـــــان ممكـــــن أســـــاعدك بطريقـــــة معينـــــة تخلـــــي المســـــاعد بتـــــاعي يوصـــــل لعيلتـــــك ويخبـــــيهم فـــــي مكـــــان لحـــــد مـــــا تقـــــدر ترجـــــع لهـــــم بعـــــد الـــــتلات أســـــابيع دول ويكـــــون لقينـــــا حل

سألته بترقب

- طب والعمل دلوقتي ؟!

رفع كتفيه كما فعلت أنا من قبل وهو يقول:

- ما فيش في إيدي حاجة أقدر أعملهالك...

وقفـــت لأخـــرج بعـــض الأوراق مـــن جيبـــي، ثـــم فردتهـــا واضعًا إياها أعلى مكتبه وأنا أخبره

- مكنتش عاوز أعمل كدا بس أنت اضطرتني

نظـــر لمـــا هـــو مكتـــوب فـــي صـــحيفة الحـــوادث وهـــو يضـــيق عينيه بعدم تصديق مرددا:

- أنت جبت دا منين !

ابتسم وأنا استند بظهري على المقعد

- مصادر خاصة، أصل أنا مخاوي



رغم ارتعاش عيناه الواضحة إلا أنه تظاهر بالقوة

- وأنت فاكر إن حادثة زي دي أخدت بيها براءة دي هتهددني بيها ازاي؟!

وضعت أحد قدمي على الأخرى وأنا أقول له بثقة كبيرة:

- دكتور بشري اتهم في قضية قتل عمد لمريض عنده، اتحبس على ذمة القضية ٦ شهور واللي طلعه براءة محامي سمعته معروفه وبيتقاضى ملايين في قضايا خسرانه زي دي تفتكر مين أداه أتعابه ؟

وقفت استند على مكتبه بكلا ذراعي

- ممكن نعدي الجزئية دي ونقول إن نقابة الأطباء لم تقتنع بقرار المحكمة في البراءة اللي حكمتلك فيها ومنعتك من مزاولة المهنة

تقدمت نحوه حتى وقفت أمامه لأجلس أعلى المكتب في مواجهته

- ورغم كدا فاتح عيادة كاتبة على يافطتها إنك طبيب ومش كدا بس دا أنا مسجل مكالمتك مع الصيدلية وأنت بتوصفلها الدوا يعني بتزاول المهنة من ورا النقابة

قمت بحك دقني وأنا أضيق عيني ناظرا إليه:



فيها كام سنة سجن دي يا مختار

ثم اقتربت من وجهه غامزا:

- ولا وليد باشا الجيار هيخرجك منها برده

ظل ساكنا للحظات ينظر لي ببغض ولكني لمحت نظرة إعجاب تتبعها ابتسامة ماكرة عبثية أخفاها على الفور وهو يقف مكانه مخرجًا سلسلة مفاتيحه من درج مكتبه ليتخطاني قائلًا:

- اتفضل معايا نروح الزوارعة بس لو جرالك حاجة أنا مش مسؤول

ابتسمت لخطتي التي نحجت بها ببراعة ومددت له يدي قائلا:

- طيبهات تليفونك

تعجب من طلبي متسائلًا:

- ليه ؟

كررت طلبي وأنا اطمأنه ففتحه وأعطاه لي مترقبا لما أفعله، فتحت تطبيق التسجيل الصوتي وتركت رسالة صوتية بتحمل لي المسؤولية كاملة عن حياتي وأن دكتور مختار لم يكن له يد في اختياري،

ثم أرجعت له هاتفه فعادت ملامحه الراضية تركنا المكتب قاصدين سيارته وبها سننتقل للقرية ووصلنا بعد شروق الشمس بدقائق ولكنه توقف ليسألني عن الطريق الذي أرشدته إليه المرة السابقة.

تعجبت لسؤاله لأجيبه بسؤال آخر:

- أمال أنت رجعت بيا أزاي يومها هو زي طريق واحد للدخول والخروج ؟!

تلعثم من سؤالي المفاجئ ليجيب إجابة واهية لم تقر على عقلي :

- جت معايا بالصدفة

لم أدقق كثيرًا وأشرتُ له على الطريق الذي سيسلكه وبعد اجتياز عدة ممرات وصلنا للمكان الأمن ترجلنا من السيارة ليقوم مختار برسم دائرته وقبل أن نجلس في منتصفها لتكمل تعويذة التنويم، ناولني مختار ثلاث كبسولات من جيب بنطاله وطلب مني أن أبتلعهم، أخذتهم دفعة واحدة ليكمل هو تعويذته التي نقلتني إلى هناك..

كان المكان هذه المرة مخيفًا للغاية رغم عدم رؤيتي لأي مشهد مروع ولكن الرائحة وهذا الضباب الطفيف رغم عتمته وصوت الرياح العالية كافيان لإيصال هذا الإحساس بقوة...

بحثت عن العجوز أو عن إدريس فلم أجد أحدًا منهم حولي ضللت طريقي ثانية؛ فأكثر ما يخيف في هذا



العالم هو تغييره المستمر وعدم ثباته على نمط واحد سرتُ بخطوات بطيئة أتفكر في هذا العالم من حولي كل شخص يدخُله يعيش في فقاعته التي يصنعها بنفسه وبيده ولا يستطيع يومًا تغيرها، بينما العالم حوله متغيرا بأنماط متنوعة وكل يوم يقدم وافد جديد حائرًا ومضطربًا ولا يستطيع صنع عالمه الخيالي إلا إذا كان مدركًا،

قمة الحيرة والتناقضات في مكان يُسمى الأعراف وهي تعني المعرفة والإدراك بأحد الحواس،

هنا اسما لمن لا يمتلك البصيرة هو بعيد كل البعد عما يحدث ولكن من أسماه بذلك شخص عبقري فالمعرفة لا تأتي إلا من هنا توقفت حين رأيت العجوز يجلس أمام الشاطئ،

هرعت إليه مناديًا لأجده يقف ناظرًا نحوي والدهشة تحتل ملامحه وهو يقترب مني تفحص جسدي بكلتا يديه بوجه فزع قائلا:

- أنت جيت تاني أزاي؟!

ابتسمت له مجيبا

- وأنت كمان وحشتني يا راجل يا عجوز

بادلني الابتسامة بأخرى مغتمة قائلًا بصوت مضطرب





- أنا بدأت أتعود عليك، وكدا مش تمام

ثم مشى أمامي متوجهًا نحو مكانه وهو يقول لي:

- تعال قولي إيه اللي حصل ثاني

جلسنا في نفس مكاننا لأحكي له ما حدث تعابيره التي كانت غامضة كلما رأيته أصبحت الأن حزينة أن عينيه تلمع بدموع حبيسة يحاول بقدر ما استطاع إخفاءها،

انهيت حديثي وهو ما زال ينظر بحسرة للبحر أمامه حاولت معرفة ما به ولكنه غض الطرف عن سؤالي ليقف قائلًا:

- تعال نروح لعمك إدريس هو هيبقى عارف يساعدك تدخل القرية ازاي مدام أنت مصر

تقدم وأنا أتبعه بخطواتي حتى وصلنا لبيت إدريس طرق بابه ليستقبلني إدريس بذهول قائلا:

- أنت رجعت بسرعة كدا أزاي!

ثم نظر خلفنا بريبة وهو يشير لنا بالدخول

- ادخلوا.. ادخلوا



جلسنا على المقاعد ليسأل إدريس ثانية عما حدث، لوحت بيدي للعجوز كي ينقل له ما قصصته عليه منذ قليل ولكن مزاجه السيء جعله يقول لي:

- احكيله أنت..

أخبرته ما حدث باختصار ليقف إدريس متوجها إلي بانشداه وأنا أتقرب ما الذي سيفعله بي:

- في إيه يا عم إدريس مالك

أمسك بذراعي وظل يتفحص جسدي وهو يقول:

- مش ممكن

أصابتني الحيرة من ذهوله لأسأله:

- هو في إيه ؟!

انحني راكعًا ليقابل وجهي وأنا جالس، وبدأ يدقق في عيني ثم بدأ ينهال علي بالأسئلة:

- حاسس بدوار؟!

أجبته:

- لا
- ولا غثيان؟
- لا
- ولا تعب وإرهاق جسدي



- لا

ظل يسأل عن كل أعراض المرض التي عانيت منها عند رجوعي، ولكني الآن لا أشعر بأي وهن أو مرض، أخبرته بذلك ليخطو نحو زجاجاته كالعادة، راقبت العجوز بطرف عيني فوجدته ينظر لقدميه بشرود والحزن يحتل جسده بأكمله انتبهت لأدريس وهو يناولي الزجاجة قائلا:

- انفخ فيها ..

ضيقت عيني بتعجب ليعيد الأمر

- بقولك أنفث فيه

رفعت كتفي مستفهما :

- ازاي؟ وريني!

اقترب مني على مضض وهو يشرح لي كيفية النفث في زجاجة أخذتها من يده وقد نجحت خطتي في اقترابه مني إلى حد جعلني أضع بين كفه ورقة وقبل أن يسأل عما فعلته برقتُ له بعيني ففهم أنني لا أريد أن يعرف العجوز شيئًا،

وضعت أنفاسي في الزجاجة التي أنقلب لون سائلها للون البحر الصافي،

رفع إدريس حاجبيه بذهول ليقترب مني بوجه فرح ولا أعرف تحديدا سبب سعادته،



أخذ مني الزجاجة وحملها بكل رقة وكأنه حصل على كنز ثمين يخاف عليه من أن يمسه سوء، ثم سار نحو دائرته ليقف على طرفها وهو يتمتم بداخلها،

ثم انحنى على ركبتيه وهو مازال يحتضنها بكفه، وبيده الأخرى بدأ يحفر بها جزء من الحبر المنقوش به الدائرة،

فعلته لفتت أنظار العجوز الذي قام من مكانه ليقف أمامه متسائلًا:

- أنت بتعمل إيه يا إدريس؟!

أشار له أن يصمت حتى ينتهي،

تقدمت لأقف بجوار العجوز منتظرين حتى يُكمل إدريس ما يفعله ويخبرنا ما فائدة هذه التعويذة ثم أخذ بين أصابعه بعضًا من هذا الحبر ليضعه في الزجاجة أغلقها على الفور حين بدأت تصنع فقاعات هوائية لتعود للونها الأبيض السابق تطلعنا نحوه نحن الاثنان ليقترب مني يعطيها لي ثانية وهو يقول بسرور

- الأزازة دي هتخليك تدخل الزوارعة ومافيش حد من الأموات هيعرف يقربلك

تهلل وجهي ببهجة وأنا أنظر للعجوز الذي ابتسم أخيرًا منذ رأيته اليوم ليكمل إدريس

- ومش بس كدا دا هتخليك تخرج عيلتك من هناك



لم أستطع إلا أن احتضن العجوز ليصدمني إدريس بقوله:

- بس كل حاجة وليها تمن

تركت العجوز لأستفهم عما يقوله:

- يعني إيه ؟!

تحرك ليجلس على كرسيه وهو يقول:

- يعني أنت هتدخل الزوارعة من البيت اللي أنت عارفه وهتحرر البنت وأخوها وابن أختها وهتخرجهم من هناك وتجيبهم هنا ، هما هيرجعوا على الأرض أنت لاء،

وضعت الزجاجة على المقعد خلفي وأنا أسأله بخشية:

- يعني إيه أنا لاء؟!
- زي ما قولتلك كل حاجة ليها تمن، لو مستعد تدفعه تقدر تخرج من هنا والأزازة معاك كل اللي هتعمله أنك هتستخدمها لو قابلت حد من الأموات لو مش ناوي تضحي الموضوع بسيط تقدر ترجع على الأرض تاني

حملت الزجاجة ثانية ونظرت داخلها بشرود وأنا أفكر فيما قاله إدريس بينما عاد العجوز ليجلس وهو ينظر لي نفس النظرة التعيسة مرت الدقائق وأنا على

جلستي أفكر والصمت يقتات على وقتنا وكلا منا في وادٍ بمفرده لمحت إدريس يُخرج الورقة التي أعطيتها له ولم أنتظر لأرى ردة فعله وقفت أقطع هذا السكون القاتل قائلا لهم:

- أنا خلاص قررت أروح القرية وأنقذهم،

حاول العجوز إيقافي ولكن مع إصراري توقف تقدمت لباب المنزل وأنا اسحب نفسا عميقا لأفتحه ثم توقفت عائدا لأدريس

- أنا هروح القرية البيت أزاي وهو على الجانب الثاني من البحر؟! وبعدين استخدم الأزازة دي أزاي لو قابلت حد منهم!

ضيق عينيه بنظرة ذات مغزى ثم أجابني:

- أنت مش على الأرض هتركب فلوكة، البحر دا مجرد وهم في خيالك أمشي وهتلاقيك وصلت، أما عن الازازة فسهل استخدمها مجرد ما ترفعها في وشهم هيهربوا منك

حركت رأسي باستفهام:

- يعني إيه أما أرفعها هيهربوا؟

وقف يضع يده على كتفي قائلا:

- الأموات بيخافوا من النور وأي روح نقية أو جواها نور هتقضي عليهم



لم أستوعب ما قاله كثيرًا ولكني اكتفيت وخرجت من بيته قاصدًا القرية دنوتُ من البحر والخوف بداخلي يزداد وأنا لم أثق في حديثه مطلقا فهو بحر طبيعي للغاية بالنسبة لي !

وقفت لثوان أمد قدمي اليمنى ناحية المياه لأجدها تتراجع ضممت حاجبي وقدمتُ اليُسرى لأجد المياه بالفعل تتقهقر للخلف خبطت رأسي بكفي وأنا أتذكر معنى الأعراف مشيت بشكل أسرع حتى بدأت في الركض إلى أن وصلت للبيت استقمت مكاني وأنا أتفحص المنزل المُخيف و المظلم هذا بقلب وجل حتى تشجعت ودفعت الباب الخشبي قاصدًا القرية،

اختنقت رئتاي من الرائحة فبدأت أسعل بشدة حتى كادت أنفاسي تنقطع، حاولت أخذ بضع من الهواء حتى استطيع التنفس،

انتهت نوبة السعال لأتفقد هذا المنزل العجيب ذا الرائحة الكريهة فوجدته فارغ تماما بحثت حولي عن أي مخرج آخر فوجدت بابا جانبي اقتربت منه وأنا أكاد أختنق من هذه الرائحة التي لم أعد اتحملها فتحت الباب لتجحظ عيناي مما أراه!

أنها القرية بالفعل !



ورغـــم أن الظـــلام دامـــس إلا أننـــي أرى بوضـــــوح، تعجبــت أيضًــا مــن البيــت الــذي يحرســه الأمــوات ولــم أرى مــنهم تركتــه مغــادرًا نحــو الغابــة المليئــة بالأشــجار لأعبرهــا واتوجــه للمبنــى المســجونة بــه خــالتي لــم أشــعر في طريقي سوى بالفراغ في المكان بأكمله،

حاولـــت الســـير مســـتقيمًا دون أن ألتفـــت حـــولي رغـــم شـــعوري بـــأن هنـــاك أحـــدا يتبعنـــي أو حتـــى يُراقبنـــي استمريت علـى ثبـاتي إلـى أن وصـلت للمبنـى، هـاجمتني ومضـــات زيارتـــه الأولـــى لـــي، والمتاهـــة التـــي كـــادت أن تقتلني لولا إنقاذ فاتن لي،

لــم يتعــرض لــي أحــدهم حتــى الأن وهــذا فــي حــد ذاتــه شيء مريب

تقـدمت داخـل المبنـى والخـوف يـزداد مـع دقـات قلبـي التـي تتعـالى، مـع تقلـص معـدتي المُعتـاد عنـد مـا تـأتيني نوبـات الهلـع وضـعت يـدي علـى الزجاجـة القاطنـة فـي جيبـي وكـأني أطمـئن بهـا وأتشـبث بوجودهـا معـي عجزت عن فعل شيء هنا، هل أنادي عليها!

أم أبحـث عنهـا فـي : كـل هـذه الغـرف زفـرت بضـيق وأنـا أسفل الدرج لا أعلم ما الذي يجب فعله الآن!

شـــعرت بأحـــدهم خلفـــي فاســـتدرت ســـريعًا دون انتظـــار لأجد الطفل،

لحظات مرت تأملته بها بعين أخ صغير،

ابتسمت له ولكن وجهه متهجم كما هو منذ رأيته لأول مرة، انحنيت لأسفل قليلا كي أقابله وأنا أقول له:

- أنت عارف إن أنا أخوك الصغير

استمر على نظرته الناقمة وجسده المتصلب، فسألته عن خالته فخطى أمامي دون أن ينطق بحرف أتبعته ليصعد الدرج ويمشي في الرواق الطويل ثم توجه في ممر جانبي تاركا الغرف على الصفين ليقف أمام الأخيرة التي في الوجهة ويشير لي أن أفتحها،

مددت يدي على المقبض وقُمتُ بفتح الغرفة لأجد فاتن جالسة على مقعد خشبي بنفس هيئتها ولكنها تبكي ودموعها تتساقط بصمت والغريب في الأمر أنها لم تتفاجأ برؤيتي!

وبمجرد أن خطوت بقدمي للداخل ظهر من خلفها، بطوله الفارع وجسده القوي وعيناه الثاقبة التي تتلون بالأصفر مع ابتسامة بنفس اللون جعلتني أبادله بذاتها،

اندهش في بادئ الأمر بثباتي لكي أصدمه أكثر بقولي

- أنت بقى هالك اللي عمالين يحذروني منك

نظرت نحو فاتن التي تهز رأسها بقوة وقد بدأ نشيجها يعلم برسالة واضحة

«هل أنت أحمق!»

تجاهلت إشارتها لي وعدتُ ببصري لهالك الذي ظهر الغيظ على ملامحه من حديثي ليتقدم نحوي



تاركـــا فـــاتن مازالـــت جالســـة خائفـــة لا تســـتطيع أن تتحرك، فمن الواضح أنها تهابه كثيرا ...

وقــف هالــك أمــامي يرتــدي بنطــال فقــط ويتــرك صــدره عاريــا كــي تتضــح عضــلاته الكبيــرة أحنــى رأســه وهــو يقول لي بصوت كرهته عند سماعه:

- لــو كــان فيــك عقــل كنــت خــدت تحــذيرهم علــى محمــل الجد

نظرت لعينه بتحدٍ واضح وأنا أقول:

- أنا شايف أنهم مدينك هيبة على الفاضي

ولأول مــرة أســمع صــوت فــاتن هنــا وبصــرخة مكتومــة وبكاء متصل ترجتني:

- كامل أرجوك

فــرد ظهــره ثــم بصــياح ردد كلمــة لــم أفهمهــا قــط، وفجــأة امــتلأت الغرفــة بالأطيــاف لــم أســتطع أن أطلــق علــيهم سوى هذا الاسم،

هــم مجــرد أطيــاف تحــوم فوقنــا علــى شــكل دوائــر تصــيب القلـــوب بالرعـــب لتصـــل الأروح للحنـــاجر أخرجـــت الزجاجــة التــي لــم أنــزع يــدي مــن عليهــا منــذ وطــات هــذا المبنــى لأســمع صــوت الصــرخات العاليــة التــي أصــمتتني أنا وفاتن فوضعنا أيدينا على أذاننا حتى بدأ بالخفوت



سمعت ضحكت عالية بصوت ما يسمى هالك بعدما أختفى من أمامي حررت فاتن لتركض خارج الغرفة تمسك بيد الصغير وتكمل طريقها مهرولة نحو غرفة أخرى وهي تنادي باسم أخيها ليسرع تجاهها وينطلق الثلاثة لخارج المبني بينما أنا اتبعهم ببطيء اتلفت حولي لا أصدق أن هالك هذا تركني بكل بساطة،

تفحصت هاتفي وأخرجته من جيبي لأجد الساعة متوقفة كما توقعت دعوت بداخلي أن يفر كل ما خطط له بسلام دون مفاجأت رأيتهم خارج المبنى يركضون في الغابة نحو البيت، خطوة اثنان ثلاثة وقبل أن أبلغ بوابة الحجر انغلقت أمامي انتفضت جسدي إثر صوت صك البوابة الحديدية لأسمع صوته من خلفي قائلا:

- هو إدريس مش قالك إن الأزازة دي هتبعد عنك الأموات بس مش الأحياء

التفت أواجهه ليكمل:

- وأكيد قالك كمان أنك لو خرجتهم مش هتخرج أنت من هنا

وضعت كلتا كفي في جيب بنطالي ووقفت بخيلاء اخبره

- اه قالي.. بس اللي ما تعرفوش إن حبيبك بره دلوقتي وياريت تفتح له



علامات الحيرة التي ارتسمت على وجهه انعشت عقلى لأجده يرفع ذراعه لينفتح الباب من خلفي فتنحيت جانبا افسح مجال لدخول مختار الذي برق بعينيه حين رأني بقيت أنا في المنتصف بينهما أتطلع إليهما وهما ينظران لبعضها البعض بالعجمي وكما توقعت !

عادت فاتن وأخيها فريد وابن أختها سالم يجروا أقدامهم بيوس بعدما ذهبوا للبيت ولم يجدوا ما ينقلهم عبر البحر نظرت فاتن لي بحزن بالغ ثم أحنت رأسها لأسفل باعتذار لتتوقف هي وأخيها والطفل خلف مختار وهنا فهم الجميع أن اللعبة انكشفت وقد عرفت كل شيء، قطع هالك هذا السكون باستهزاء:

- حتى بعد ما عرفت إن مُختار لعب عليك خلاص يا حبيبي إنت جيت وضحيت بإرادتك، كدا كدا روحك ملكي

رفع مختار ذراعه أماما هالك ليتحدث

- استنى أنت أنت كشفتني أزاي؟ وأزاي عرفت تجيبني

أجبت سؤاله بسؤال وحيد لم أعرف إجابته:

- قولي أنت الأول أخترتني أنا ليه ؟!



هز رأسه نفيا وهو يقول:

- أنا ما اخترتكش أنت اللي شوفت سالم على القضيب وأنا بحاول أرجعهم، وقتها عرفت أنك همزة الوصل وأنك زيك زي يعقوب

انتبه يعقوب له بغضب ليهدر به بصوته الجهوري وهد يقترب منه يمسك برقبته

- أنت كنت بتخدعني يا مختار وعاوز ترجع عيلتك رغم أن أحنا متفقين

دفعه مختار بكل قوته ليعود للخلف وهو يزعق به

- ما أنا سيبتلك جدي يا يعقوب عاوز إيه من باقي عيلتي

رفع يعقوب سبابة بغيظ شديد أمام مختار وهو يقول له :

- أنت عارف أن جدك هرب وعارف كمان أن الأموات بيخدمونا عشان خدنا بتارهم من عيلتك الخونة

اقترب مختار منه وهو يصك أسنانه:

- أنت عارف كويس إن جدي مظلوم وإن شيوخ الزوارعة كدابين والخاين كلنا عارفينه جدي ما غلطتش غير في إنه آمن له وخرجه بره القرية ..

*****

نهاية الرحلة

أخذتُ نفسا عميقًا واستعديت للجولة الثانية التى قد بدات على الفور صراخ الموتى تصاعد ليركض هالك نحوهم في الغابة بتعد شديد بينما انضم للقافلة المجتمعة إسماعيل يتبعهم ادريس وجاء في نهاية الصف العجوز الذي تجاوز الجميع ليقترب مني أنا وبدموع حبسها داخل مقلتيه قال لي:

- سامحني يا ابني وخلي كل دول يسامحوني أنا السبب اللي أول مرة جيت فيها هنا رجعت زي المجنون أحكيله واللي فيها، كنت فاكر أنه شغفه بعالم الأموات مجرد حماس شباب مكنتش أعرف أنه هيعمل بالأموات عالم يسيطر بيه على البشر، ويستخدم الأرواح المحبوسة عن الأعراف فيي أنه يجمع ثروة ونفوذ،

وضعت يدي على كتفه وبحنو ربط عليه قائلا:

- مكنش ذنبك وما تحملش نفسك فوق طاقتها يا عم حطاب

رفعت كفي من أعلى كتفه فأمسك بي قائلا:

- أنت عارف طلبي،

اكتفيت بإماءة بسيطة وقبل أن أودع إدريس حدث ما لم يكن في الحسبان غضب الموتى أحدث زلزالا كبيرًا جعل المبني يتهدم ونحن ما زالنا بداخله انطلقنا جميعًا راكضين بأقصى ما يمكننا ولأنني كنت الأخير وقع



جـزءً مـن الحجـارة أمـا البـاب الحديـدي قبـل أن أعبـر شـعرت بـالخطر الشـديد والخـوف الـذي كـاد يقتلنـي، أخرجـت الزجاجـة مـن جيبـي والمبنـي ينهـار مـن حـولي وأنـا أكـاد أسـقط مـن الفـزع ولكنـي تحاملـت علـى نفسـي وشـربت مـن السـائل بـداخلها ثـم أغمضـت عينـي وأنـا أردد تعويـذة الاسـتيقاظ مـن التنـويم التـي حفظتهـا مـن مختـار سـبحت فـي دوامـة عـدتُ منهـا إلـى جسـدي القـاطن فـي سـيارة مختـار شـهقت بفـزع لعـودتي ورغـم عينـي المنفتحتين لم أرى سوى الضباب ولم أسمع شيئًا!

مـرت لحظـات حتـى سـمعت صـوتها يـأتي مـن بعيـد إلـى أن اتضـح بالكامـل صـفعتني بخفـة علـى وجهـي وهـي تسألني:

- فوق يا كامل فوق

اتضـحت الصـورة أمـامي علـى وجههـا المحبـب لـي، لأبتسم لها مازحا

- هتاخدي القلمين دول على فكرة

ضـحكت بملـيء فيهـا ضـحكتها السـاحرة وقـد خانتهـا عيناهـا اللتـان حاولتـا إخفـاء دموعهـا الخائفـة خرجـت مـن السـيارة لأتبعهـا أنـا بـدوار خفيـف سـيطرت عليـه سـريعا لأسألها:

- فين جسم مختار؟!

أشـارت لـي خلـف السـيارة وهـي تجيبنـي – لمـا جيـت لقيتـه واقـف بـره العربيـة حـددت مكـان الـدايرة زي مـا



قـولتلي ووقفـت عنـدها وعملـت نفسـي تايهـه واسـتدركته لحـد مـا جـه وقـف فـي الـنص ونيمتـه زي مـا قـولتلي لـم أتوقـع أن تـنجح فـي هـذه المهمـة بامتيـاز هكـذا كنـت أتمنـى أن أسـتطيع أحتضـانها ولكنـي أجلـت هـذه المشاعر بعد عقد القران.

درت حـول السـيارة فوجـدت جسـد مختـار مكانـه، هـو أن يسـتطيع العـودة بمفـردة لأن هـذه هـي المـرة الأولـى لـه، وعليـه فيجـب أن أرجعـه أنـا ولكـن لـيس الآن أخرجـت هـاتفي لأتصـل براضـي أطمـئن علـى تنفيـذ بـاقي الخطـة ليخبرني:

- كلـه تمـام يـا كامـل لقينـا كـل اللـي اختفـوا مـن سـنين أعتقـد محطـوطين فـي تلاجـات ومتجمـدين فـي نـاس مـنهم عايشـة، عمومـا الشـرطة هنـا والجـيش وطلبـوا عربيـات إسـعاف وطيـارات خاصـة تنقـل التلاجـات دي، وزي مـا قولـت كلهـا مـن مصـنع يعقـوب الحطـاب مـا تقلقـش كلـه ماشـي تمـام والنيابـة أصدرت قرار بمنعه من السفر،

شـعرت بـالحنق مـن أن راضـي لـم يفهمنـي حتـى الآن فأوضحت له الأمر

- افهـم يـا راضـي.. يعقـوب مـش علـى الأرض أصـلا ومـا اعتقـدش أنـه رجـع مـن الأعـراف زمانـه بيحـاول يلاقـي طريقـة ينقـذ بيهـا العـالم بتاعـه خلـيهم يصـدروا قـرار بتفتـيش قصـره وهيلاقـوه جسـمهم

هناك قبل ما يرجع ووقتها لو هرب مش هنعرف نوصله

طمئني راضي بأنه سيسعى لذلك،

انهيت المحادثة مع راضي وانحنيت لأحمل مختار بمساعدة علا التي اسندته أمامي حتى وضعناه في الكنبة الخلفية ركبت علا بجواري وهي تسألني:

- على فين؟!

أدرتُ مُحرك السيارة وانطلقت بها وأنا أخبرها:

- مشوار كدا لازم أعمله الأول وبعدين نبقى نسلم مختار للبوليس

وصلنا للمشفى الذي نقلني فيه حسن جاري حين فقدت الوعي في دورة المياه أوقفت السيارة أمام الباب الرئيسي وتركت علا بداخلها مع مختار قاصدًا الطبيب عمرو حامد

سألت الرجل الذي يقف خلف الزجاج في الاستقبال عنه سألته فأخبرني أنه الأن في عيادته في طابق الثاني، ثم غرفة السيد حطاب الكارم فقال لي أنها في الطابق الثالث ذهبت لغرفة العجوز كما وصف لي الموظف لأطرق بابها فتحت لي ابنته كما توقعت تطلعت نحوي بريبة أخبرتها أنني صديق والدها وحاولت لدقائق عدة اقنعها أنه يرغب بذلك وقد أوصاني أن أساعده لينتقل للرفيق الأعلى،



انهـــارت فـــي البكـــاء وأنـــا أحـــاول تهـــدئتها شـــارحًا لهـــا بعضًـــا مـــن الأمـــور الغيبيـــة التـــي ســـيتقبلها عقلهـــا بعـــد قليـــل اقتنعـــت بمـــا يريـــده والـــدها واســـتعدت الطبيـــب عمـــرو كـــي تُخبـــره بقرارهـــا هـــذا تـــركتهم بعـــدما قـــرروا أن يفصـــلوا عنـــه الأجهـــزة، ودعـــت العجـــوز بقبلـــة علـــى جبهتـــه مـــع همسة في اذنه حتى رأيته يبتسم لي

رجعـــت لعـــلا وانطلقـــت للمحطـــة الأخـــرى عـــم ادريـــس وجدتـــه بســـهولة بعـــدما اســـتدعيت قرينـــه كـــى يـــدلني علـــى طريقـــه وجدتـــه فـــي أحـــد المشـــافي البعيـــدة نســـبيا وقـــررت أنـــا مـــع الســـائل الـــذي أعطـــاه لـــي : كـــي يصـــرف عنـــي الأمـــوات لا أعلـــم هـــل ســـتفلح هـــذه التجربـــة أمـــا ،لا، ولكني لن أخسر شيء على أية حال..

تسللت لغرفته ولحظي السعيد أنني لم أجد أحدًا معه،

أزلـــت عنـــه قنـــاع التـــنفس الصـــناعي وفتحـــت فمـــه واضـــعًا بـــه بضـــع قطـــرات مـــن الســـائل الخـــاص بـــي ثـــم اعـــدت كـــل شـــيء مكانـــه وانتظـــرت بعـــد دقـــائق قليلـــة بـــدأ جهـــاز القلـــب يُصـــدر صـــفير عـــال فانتبهـــت لـــه بكـــل حواســـي منتظـــرًا أي إشـــارة لاســـتيقاظه حتـــى بـــدأ يفـــتح عينيـــه ببطـــيء وأنـــا أشعر بسعادة كبيرة أنني استطعت إنقاذه،

حـــين فـــتح عينـــه ابتســـم لـــي وهـــو يزيـــل جهـــاز التـــنفس عـــن فمه مردد بوهن شديدا:

- كنت واثق أنك هتوصل للحقيقة..



مسدت على رأسه بحب قائلا:

- كله بفضلك يا عم إدريس

ثم استأذنت منه كي أعود لعلا ليوقفني قبل أن أخرج من الغرفة متسائلًا:

- هتعمل إيه مع مختار؟

أجبته وأنا أعبر من الباب

- هعلمة درس الأول وبعدين أسلمه للبوليس بتهمة النصب والاحتيال ومزاولة مهنة الطب بعد ما النقابة منعته.

سمعته يردد من خلفي:

- أنت طلعت داهيه ..

ابتسمت براحة وأخيرا قد زال الكابوس رجعت للسيارة وانطلقت نحو قسم الشرطة ووقفت أمامه.

عدت للخلف أردد تعويذة الاستيقاظ أقرنتها بفرقعة إصبع فاستيقظ على إثراها مختار

لم يع في بادئ الأمر أين نحن ومع شعوره بالوهن استطعت إدخاله القسم وتسليمه للضابط الذي اتفقت معه على تسليم مختار قبل انتقالي للأعراف خرجت من القسم لأتلقى هاتف من راضي يخبرني به أنه قد تم القبض على يعقوب في قصره وهو يستعد للهروب،



سعدنا كثيرًا أنا وعلا وأوصلتها لمنزلها وعدتُ لبيتي أشعر براحة قد افتقدتها لفترة طويلة كدت بها أن أيأس من عودتي لحياتي السابقة،

جلست على مقعدي أمام المكيت الذي صنعته في غرفتي بعدما استفززت مختار بتوقفي عن الرجوع للقرية وتركي لهذا الأمر،

جمعت كل خيوط اللعبة ووضعتُ الأحجية المفقودة التي بفضلها استطعت النجاة أخرجت الهاتف من جيبي وقمت بتشغيل التسجيل الصوتي لأنهي قصتي علمت أن مختار يستخدمني لشيء أجهله عندما أخذني للمشفى النفسي ليقنعنى أن هذه السيدة هي امي لأطلب من الطبيب المعالج لها الاطلاع على ملفها ومن هذا الملف علمت أسم زوجها زين الدين الراعي لا أعلم تحديدًا لما تخيل مختار أنني لن ابحث خلفه، رغم من الطبيعي أن أبحث عن والدي هو الآخر، لم يتقص مختار عن عائلتي بدقة، فأنا بالفعل ترعرعت في ملجأ ولكن والداي توفوا في حادثة مشهورة وعائلتي من والدي كانوا محدودين ولم يكن أحد منهم يستطيع كفالتي، فلم أكن أبدا مجهول النسب فقط كنتُ يتيم الأبوين،

وعندما قابلت والدة مختار تأكد حدسي من أنه يحاول خداعي كي أنقذ عائلته،

حاولت البحث عن سبب لما ا يريد أن أنقذهم أنا رغم أنه هو الذي يعمل في مجال الروحانيات بينما أنا بعيد كل البعد عن هذا العالم،

وبعدما تعمقت في البحث خلفه وجدته يصادق شخصًا له من النفوذ والمال ما يجعله من نجوم هذا المجتمع في بادئ الأمر ظننت أنه مجرد زبون يتردد عليه كي يزيد نفوذه بطرق ملتوية، ليلفت نظري اسمه الثلاثي، وحيث أنني كنت لا أنسى أبدا ما اسمعه فقد تذكرت هذا الاسم حين كنت في المشفى بسبب الحادث الذي تيقنت أنه مفتعل وأن كل ما حدث معي كان من صنع مختار ذهبت على الفور للرجل الذي في مشفى يحمل أسم والد يعقوب فوجدته العجوز الذي قابلته في الأعراف وهنا كان حل الأحجية الثانية لم يخبرني العجوز اسمه رغم أنه اعلمني اسم إدريس، ولم يعلق على أمر عائلتي ولا مرة لأنه يعرف أنها عائلة مختار حاول أن يساعدني ولكن دون الإفصاح عن الحقيقة راجعت كل ما عرفته من هذا العالم لأصل لنتيجة حتمية.

وأن كل الأروح المعلقة هناك لها أجساد على الأرض، ومؤكد أن هذه الأجساد في القرية وتحديدًا في المبني الذي دخلته من قبل،

سلسلة من الأحداث تتابعت وبمجرد ربطها ببعض أوصلتني لنهاية هذه اللعبة،

وبمساعدة علا وراضي وقبلهم إدريس استطعت الخروج من هذا العالم دون خسائر ولكني أبدا لن أعود لسابق عهدي أخرجت الزجاجة من جيبي وأنا اتطلع لها بتركيز لأختم هذا التسجيل بجملة واحدة

(لقد تبقى لي الكثير منها)

*****



